الدكتور ضرغام الدباغ

لماذا نعادي النظام الإيراني



منشورات الطليعة

2020

تمهيد لا بد منه :

أسئلة ناطق بلسان العديد من المتابعين للشأن العربي ، يقولون ما هذا العداء لإيران ؟ ألم يحن الوقت بعد لطيّ صفحة العداء العربي الفارسي ؟ أليس من المفروض أن يكسب العرب صداقة إيران بدل معاداتها ؟؟؟

وإن كانت الأسئلة مباحة وهي كذلك فعلا فإن الإجابات حرّة بشرط التفرقة بين الجالس في برجه العاجي واضعا رجلين في الماء وبين المكتوي بنار الحقد الطائفي البغيض والدائس برجلين على النار ...

هنا يبرز الفرق والفارق بين الوهم والواقع فتنقشع سحابة التضليل ويرفع حجاب الدّجل والنفاق والعنصرية المقيتة ليقف السائلون أمام حقيقة النظام الحاكم في إيران عارية تماما من غطائها الطائفي وشعاراتها التضليلية ...

بعض مما كتبة رفيقنا الدكتور ضرغام الدباغ من شأنه أن يفتح الأسئلة على أسئلة جديدة مضادة حول هذا العداء الأبدي الذي يكنه النظام في إيران لكل ما له صلة بالعرب والعروبة ...

عزالدين القوطالي

هيئة التحرير بمنظمة الطليعة العربية في تونس



يستغرب القارئ والضارب في كتب ومصادر التاريخ، القديم والحديث، أن يجد عقدة متأصلة لدى حكام بلاد فارس، أو دولة إيران الحديثة (ملكية على أنواع السلالات الحكمة، أو تحت حكم الملالي)، تتحكم على عقلية القيادات الحاكمة أو صناع القرار فيها، عقدة سياسية / اقتصادية / ثقافية، تتمثل بالتوجه غرباً. وقد وجدت هذه القيادات والزعامات، في هذا الشعار لافتة جيوبولتيكية ستمثل جوهر السياسة الإيرانية، على مر العصور تخفت أحياناً وتخبو لكن دون أن تزول، ثم تتصاعد حيناً على نحو شرس، تتخذ طابعاً اعتدائياً، ينطوي في جوهره على التوسع غرباً .. العراق كخطوة أولى لهذا التوسع ..... لماذا ..؟ وهذه موضوعة مهمة كتبنا عنها كثيراً، ولنأت الآن على العقدة ..

الفرس اليوم لم يحتلوا العراق، بل هم تواطؤا، تعاهدوا، تعاقدوا، تقاولوا ... هذه المصطلحات ممكنة، عقدوها مع الأمريكان والإسرائيليين، وإذا يتطلب الأمر حتى مع شياطين الأرض ليصلوا أرض العراق، في تعاقد وتعاهد سنطلع على أسراره يوماً، أن يستلموا العراق مقابل (؟)، ولا ندري ما هو الثمن، فالأمريكان خسروا كثيراً جداً : في الأرواح (قتلى وجرحى)، والمعدات، والأموال، والأمريكان لا يفعلون ذلك مجاناً، إلا مقابل مكاسب ووعود. وهل أوفوا الفرس بوعودهم، فالمعروف عنهم أنهم ينكلون بعهودهم، وبرأيهم لماذا يوفون العهود مع حرامية مثلهم، هي صفقة بين لصوص وسراق، لا مكان للشرف بين الضباع والثعالب وبنات آوى، وبرأي الشخصي ليس في هذا ما يغيض ..

ولكن ما يغيظ هو أن الفرس يحلو لهم أن ينسبوا لأنفسهم البطولة، والذكاء، والدهاء، لمجرد أنهم كسبوا مباراة يلعبها الزعران في الأزقة، ووضعوا أيديهم وأرجلهم في حوض قذر لا يشرف .. فأستلموا العراق بقضه وقضيضه، من شماله إلى جنوبه، وراحوا يملأون الدنيا طنيناً وأزيزاً، وكان الأجدر بهم أن يخجلوا، فالفارس يخجل من فروسية غيره .. فما بالك أن ينسبها لنفسه .. البعض يعتبر أن ذلك في عرف وقواعد الفروسية عار، وفي قواعد مسابقات الفروسية، من يسقط من على ظهر الجواد، يصبح خارج المسابقات، ولكن بالله عليك من يسأل عن الشرف في هذا اليوم الأسود، وقد اختلط الحابل بالنابل، وحتى بالكورونا ...وتبدو في مطالبة الفرس بأن يكونوا كرماء في العراق وأن لا يتصرفون كاللصوص والحرامية، فهذه أشبه بالنكتة، كأن تقسم العاهرة بشرفها، وهكذا أساءوا لنفسهم ولمن تعامل معهم.

الفرس يدركون كما يعلم العالم بأسره، أن هناك حرباً سرية / علنية ضد العرب والمسلمون. ولهذا أجيز لهم أن يلعبوا وفق أتفاق يبدو أنه تفصيلي ودقيق (الأمريكان والاسرائيليون لا يقبلون إلا بأتفاقيات تفصيلية دقيقة)، أن يلعبوا في المنطقة،

وبالفعل ساعدوهم في العراق وسوريا ولبنان، واليمن، ولكننا لا نعلم مواد وفقرات هذا الاتفاق وأبعاده، لذلك يعمل الفرس المستحيل لكي يتغير وجه العراق وشكله وداخله ودواخله، ليقنعوا أنفسهم بأن الحلم بات حقيقة، ولينتقموا من كل كوابيسهم، وإحباطاتهم، ومن تمثيلهم الفاشل لدور قاطع الطريق البطل، الذكي، الشجاع الذي ينال ما يريد بقوة سيفه، الذي أنتجه الحدادين في بلادهم، فإذا بسيفهم يكسر، وافتضح ذكاءهم على أنه غباء مطلق وضياع للوقت والجهد ... ومزيد من الخسائر .. ونواح وأنين ..! وإضافة سبب جديد للحزن المستديم.

قرأت بدقة تامة تاريخ الفرس والمنطقة التي يقطنونها بشكل تفصيلي، والشعوب الذين يحيطون بهم ومن الشمال والشرق شعوب تركية (ترك، آذريون، تركمان، أوزبيك، كازاك)، والأرمن، وفي الجنوب: البلوش، والبشتون، (العناصر المكونة للشعب الأفغاني). والعلاقات بين الفرس (المكون القيادي في إيران) وشعوب هذه المنطقة والتي لم تكن يوماً على ما يرام، ولم تشهد سلماً دائماً وتعاوناً في هذه المنطقة التي هي أحوج ما تكون للسلم والأمن والتعاون.

وفي البحث عن تاريخ إيران، نجد أن أسم (إيران) هو حديث (منذ عام 1935)، لما كان يطلق عليه أسم بلاد فارس، وإيران أسم فني يعني الآريون ولكن ليس جميع شعوب إيران آرية، ولا توجد منطقة جغرافية محددة أسمها إيران، والفرس ليسوا أكثرية مطلقة، وهناك ثقافات عريقة لشعوب أخرى في المنطقة التي يطلق عليها إيران. مع العلم أن الفرس يزعمون أن كل هذه الشعوب هي فارسية : العيلامية، الساسانية، البارثية، ولا يعرف ما إذا كانت لها لغاتها الخاصة أم لا ..

وبلاد فارس، خاضت منذ القدم، حروب وصراعات (أسبابها كثيرة) وبلغ بهم الطموح إلى دخول آسيا الوسطى، والاحتكاك بحضارة الاغريق التي كانت تتأسس على أرض اليونان، شبه الجزيرة الهيلينية وجزر بحر إيجة والمتوسط، ولكن هذه المغامرة انتهت بسلسلة من الخسائر، ردت إلى أراضيهم، ولكن الأغريق لم يكتفوا بصدهم، والأنتصار عليهم في آسيا الصغرى (تركيا) بل ولاحقوهم، حتى انتصروا عليهم في معركة ساحة على أرض العراق (في سهل أربيل)، في معركة كبيرة فاصلة أطلق عليها معركة (غوغميلا ـ Gaugamela) ثم لاحقوهم إلى أرض فارس ويددوا هناك فلولهم وكذلك دولتهم، وأقاموا دولة هيلينية في بلاد فارس، وبعد وفاة الاسكندر المقدوني، تأسست الدولة السلوقية خلال قرنين (الثالث والثاني ق.م). ثم كانت هناك دولتان فارسيتان : البارثيين، والساسانيين، حتى الفتح الإسلامي 651 . فخاضوا معاركهم مع المسلمين، وفي العصور اللاحقة كانت صراعاتهم تتركز مع العرب قبل وبعد الإسلام، ثم مع الأتراك العثمانيين، (وغيرهم) فدارت رحى معارك كثيرة.

وهذا البحث نركز على تلك الحروب التي دارت على أرض العراق، مع العرب المسلمين، ومع العثمانيين، والعراقيين، وهي حروب كثيرة، إلى عدد لا يحصى من الصراعات والاشتباكات مما تطلق عليها معاهد السلم والأمن " أشباه الحروب " (war-like condition) وقد نلاحظ أن لحروب الفرس في العراق لها طابع لها صفة الهزيمة الساحقة، بدرجة يتقرر على أثرها غالباً مصير الدولة الفارسية.

من المؤكد أن للفرس أسبابهم العميقة في أن يكون العراق خاصة (وغير العراق عامة) هدفاً لأطماعهم، والأطماع هي ليست كما يعتقد في التحليل السطحي، هو إقامة دولة كبيرة، نعم هذا كان الهدف منذ أقدم العصور وقبل أن يكون هناك سنة وشيعة وعرب وإيرانيون (قلنا أن كلمة إيران لم تكن موجودة)، التوسع شرقاً (بالتحديد) هو مبدأ تقوم عليه دولة الفرس في الوصول

إلى الأنهار والمضائق والبحر المتوسط، فإيران (الفرس) يجدون أنفسهم بين فكي كماشة .. ويشاء قدر الفرس أن يكونوا جغرافياً، بين أمتين قويتين، لها تاريخ وتراث وثقافة : العرب والترك ... والفرس يجدون في أنفسهم مستحقات أمة عظمى، وأن تكون هذه الأمة هدفها التوسع .. درءاً لمخاطر التمزق الداخلي تجمع الشعوب الغير قائم على مبدأ، أو معطى تاريخي (جغرافي، قومي، ديني).. وهذا مدخل لدراسة كبيرة، ويركز بحثنا هذا على حروب الفرس في العراق.

والعقل السياسي الفارسي محكوم بالتطلع والاستيلاء على الغير وهذا الأمر أبعد من العداء الفارسي / العربي، وأبعد من الإسلام وانتشاره في خلف زاغروس، وملالي أيران اليوم يضعون نوايا العدوان والتوسع بظهر الدين، أو الانتقام من الفتح الإسلامي، ولكن قراءة بسيطة وسطحية للتاريخ تظهر زيف هذا الزعم، الفرس يفعلون هذا لدواع وأسباب الأمن القومي (لا نناقش صحتها أو خطأها) لا للدين ولا للثأر من العرب، فهذه كلها مزاعم تدحضها وقائع التاريخ المادية.فلنأت إذن على المعارك الحديثة ، منذ العصر الإسلامي فصاعداً.

يمكن تسجيل معركة ذي قار وهناك تفاوت في سنة حدوثها ولكن من المرجح أنها حدثت في بداية البعثة النبوية 600 ميلادية، لأسباب سياسية هي أن العرب في وادي الرافدين بدؤا يتطلعون إلى دور أخوانهم في نجد والحجاز، وإلى الدعوة، والأنباء الأولى لإقامة الدولة الإسلامية، وكما طرح انتصار العرب في ذي قار هدف فتح العراق في مقدمة أهداف الدولة الإسلامية، لذلك، فإن أنتصر العرب في ذي قار تحدث عنه الرسول الكريم بقول " هذا يوم أنتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا " .

الأجواء السياسية للمعركة :

كان العرب في العراق وسورية متفرقين مشتتين، بين قوتين الدولة العظمى الرومية، والفرس، وكان الغساسنة في بلاد الشام، والمناذرة في بلاد الرافدين، كل طرف منهم يحاول الحصول على مكاسب على حساب الطرف الآخر، استناداً واعتماداً على القوى التي يحتمون بها، وكانت القوى الدولية بدورها يسرها هذا التمزق لتستفيد من عرب العراق ككيان وسادة ناقص السيادة بينها وبين الروم، فيما يستغل الروم الغساسنة كدولة وسادة بينها وبين الفرس بلاد الرافدين، وهكذا كانت تدور صراعات لا يستفيد منها العرب، بل كانت تدور لصالح القوى المحتلة.

والفرس من أجل أن بستحكموا بالموقف في بلاد الرافدين، أتبعوا " سياسة فرق تسد " فأخذوا يقربون قبائل عربية ويغدقون عليها، ويعرضون مذهبهم " المزدكية "، وتمكنوا بأتباع سياسة الترهيب والترغيب من كسب بعض الموالين لهم من القبائل العربية (وهي سياسة تتميز بالكسب السريع المؤقت، ثم فقدان المكاسب بسرعة مماثلة). ولكن قادة القبائل ضاقوا ذرعاً بالغطرسة وبإجراءات الإدارة الفارسية التي كانت تنهب البلاد وتظلم السكان، وأبتدأ مسلسل المناكفات، وحاول الفرس ارغام العرب أنهم تحت السطوة والسيطرة، وهذا كان يقابل بالإذعان حيناً والرفض السلبي أحياناً، وتراكم السخط يوصل للثورة ... وبصرف النظر عن الأسباب والتفاصيل، فإن لحظة الصدام المسلح وهي مرحلة تتجاوز السخط، والرفض، وعدم التعاون، قد حلت وفي المعركة تمكنت القبائل العربية بقيادة المثنى بن الحارثة الشيباني، من كسر شوكة الفرس، الذين وإن لم يغادروا العراق نهائياً، إلا أن نفوذهم تقلص بدرجة كبيرة، بنتيجة معركة ذي قار، ومؤشراً على ابتداء مرحلة النهوض المعادي للفرس بتقدم الدعوة الإسلامية وهيمنتها على شبه الجزيرة العربية.

إذا كانت المعارك الحربية تقاس وتحسب بنتائجها السياسية، فمعركة ذي قار بهذا المعنى كانت تنطوي على أهمية بالغة ونتائج ذات أبعاد قريبة وبعيدة. فعلى صعيد النتائج القريبة، كانت بداية نهاية الوجود الفارسي في العراق ، وهو وجود يفتقر إلى أسس وجذور هو ما يجعل وجوده يتسم بالقلق والاضطراب وصعوبة استيلاءهم على العقل والوجدان العربي حتى في مراحل قبل الإسلام، وصعوبة تجاوزهم لعقبتين رئيسيتين :

• عشق العرب للغتهم ومنها يتفرع ولعهم في فنون اللغة : الشعر، النثر، الجناس، الطباق، وفن الكلام، والرواية، ونقل الأخبار. وساهمت اللغة في تعميق الوحدة الاجتماعية والسياسية، وقادت إلى أن تصبح اللغة العربية مؤسسة من مؤسسات الوجود العربي المميز.

• أعتزاز العربي التقليدي بأنتماؤه القبلي (العشائري) وقد تكرست عبر العصور لتصبح جزء من المنظومة الدفاعية الذاتية بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، منظومة تمثلت بممارسات وتقاليد وقيم التي تمارس في مضيف القبيلة، وهي أداة لاستحصال موحد الأراء حول الموضوعات المطروحة، ولهذه جانبها الإيجابي المتمثل كجدار مصد لمحاولات التسلل إلى المجتمعات العربية. ورغم أن ثقافة العشائر لا تعتبر انغلاقاً، بل هي منفتحة على وافدين كثر إلي البلاد العربية.

وهذه جميعها قبل أن بزوغ فجر الإسلام الذي عزز الهوية السياسية والثقافية، وأوجد نظرية سياسية متقدمة وهي الولاء للدولة الإسلامية، وهذه ستكون في المراحل اللاحقة (بعد فتح مكة وتوحيد شبه الجزيرة العربية) العنصر الأهم في أساس بناء الدولة العربية الإسلامية، لتتكامل المنظومة في جانبها الثقافي / الاجتماعي / الإيماني ـ الاعتقادي. وهي عناصر ستبلور خصائص البلاد العربية : الزراعة (وادي الرافدين ـ النيل)، والتجارة والترانزيت، استخراج اللؤلؤ في الخليج. وهي سمات منحت المجتمع العربي ملامحه وخصائصه الدقيقة المتميزة. جعلت من الصعوبة على قوة أجنبية أن تفرض هيمنتها الثقافية أولاً، بما في ذلك ثقافات الدول الاستعمارية الكبرى.

لهذه الأسباب لم يتمكن الفرس مطلقاً من تأسيس تواجد مقبول من أهل البلاد، وعرب العراق وإن كانوا على غير دين الإسلام، إلا أنهم لم يتقبلوا الديانة المزدكية، كما لم تنتشر الزرادشتية، ولم تصبح مذهبا نافذا برغم سياسة الترهيب والترغيب التي مارسها الفرس. ولما بلغ التناقض أشده، انفجرت على شكل انتفاضات مسلحة كانت معركة ذي قار إحدى ذراها، وسوف تتواصل بعد الفتح الإسلامي بمعارك عديدة تنهي بتحرير العراق على يد القبائل العربية العراقية المتلاحمة مع الجيش الإسلامي القادم من شبه الجزيرة العربية.

ـ ذات السلاسل : 12 هـ / 637 م

جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد / الفرس بقيادة هرمز الذي قتل في المعركة.

ـ المذال : 12 هـ / 637

جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد / خسر الفرس 30 ألف قتيل في المعركة.

ـ الولجة : 12 هـ / 637 م

جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد / الفرس بقيادة الأندزغر (مات عطشاً).

ـ اليس : 12 هـ / 637 م

جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد / الفرس بقيادة بهمن جاذويه ، خسروا 70 ألف قتيل.

ـ القادسية : 15 هـ / 636

جيش المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص / الفرس بقيادة رستم (قتل في المعركة). كانت معركة حاسمة أدت نهاية النفوذ الساساني في العراق.

ـ بهشير : 14 هـ / 639 م

جيش المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص، وبأمرته القائد زهرة بن حوبة.

ـ المدائن : 16 هـ / 637 م (على نهر دجلة)

جيش المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص، جيش الفرس يقيادة شهبان وهثان.

ـ نهاوند (فتح الفتوح) : 21هـ / 642 م

جيش المسلمين بقيادة النعمان بن مقرن (أستشهد خلال المعركة) / جيش الفرس بقيادة الفيروزان (قتل). وبانتصار المسلمين، انتهى حكم الدولة الساسانية في إيران، بعد أن دام حكمها 416 عاما.

والفرس لم يدخلوا بغداد وهذه ملاحظة تستحق الانتباه ...! إلا كحاشية للمغول في 1258م، وكمتواطئين، بمساعدة الوزير العلقمي الذي كان يراسل المغول الذين كانوا على الوثنية، ليدخلهم إلى دار الخلافة، والمغول لم يحترموا فعلته هذه، فصرفوه بقليل من الاحترام بعد أن أرضوه بدراهم معدودة. ولكنه عاش بقية عمره منبوذاً. وهذه عبرة تستحق التأمل.

والعراق بسبب مزاياه السياسية والاقتصادية والثقافية، أصبح بعد 1258 ملعباً لإرادات قوى أجنبية وساحة منازلات بينها. فالشعوب التركية تمكنت من تطوير أداتها السياسية من قبائل تركية، نجحت بتأسيس كيانات سياسية كالسلاجقة، إلى دولة مركزية بقيادة آل عثمان، الذين تمكنوا بالدهاء والحنكة السياسية، واستخدام ناجح للقوة العسكرية، وتأسيس سلطنة كمواصلة للخلافة الإسلامية بعد سقوط الدولة والخلافة العباسية.

تأسست الدولة الفارسية الحديثة عام 1501 على يد الصفويين المنحدرين من أرومات مختلفة : آذرية / تركية، وكردية وتركمانية، وأختلطوا بالشركس والجورجيين، واليونانيين. وحين أزاحوا السلالة التيمورية بسهولة نسبياً، لضعف ملوكهم، ولكثرة الانشقاقات بينهم. وكان الأتراك العثمانيون في اقص درجات قوتهم، يتقدمون غرباً في اوربا ويكسبون مواقع جديدة. والبلاد التي كانت تحت سيطرة الفرس كانت ترقب الانظمام إلى دولة الخلافة، فأدرك الصفويون الطموحين ضرورة توحيد البلاد تحت عصبية تتمكن من الوقوف بوجه العثمانيين، ولكي لا يدينوا بالولاء للخلافة الإسلامية، فأعتبروا أن المذهب الشيعي هو

القائد للدولة، وأخذوا يفرضون التشيع بالقوة والإرهاب، على مواطنيهم، ومواطني الدول التي يدخلونها، لذلك باشروا بحملات تطهير طائفية وعرقية، وفعلوا كل ما يقضي على احتمال أن تكون بلاد فارس جزءاً من الامبراطورية الإسلامية.

وكان الاتراك العثمانيون يرون في أوربا ساحتهم الرئيسية وميداناً لتوسعن السياسي والديني، ولم تكن البلاد العربية والإسلامية في حساباتهم التكتيكية والاستراتيجية، إلا أن الفرس أعتبروا أن خصوم العثمانيون حلفاء لهم، وهكذا مثلوا الاحتياطي الجاهز في خطط الأوربيين وحتى روسيا القيصرية، لذلك ابتدأت المناكفات، تتحول إلى صراعات مسلحة، فتحول العراق خاصة إلى ساحة صراع مسلح، لذلك دار العديد من المعارك العسكرية الصغيرة والكبيرة، كانت الغلبة فيها للعثمانيين على الأرجح، إلا أن الإجمالي العام للمعارك كان أن أخرج العثمانيون إيران من العراق..

عام 1535، بلغ مسامع السلطان سليمان القانوني ما يفعله الفرس في العراق، فقرر على التدخل وإخراج الفرس من العراق، فدخل الجيش العثماني العراق من جهات تبريز، ودخل بغداد بدون مقاومة، ومن ثم أحتلوا الموصل ثم سائر المدن العراقية، ، وزالت دولة الصفويين في العراق بعد أن هيمنوا عليه تقريباً لمدة 25 سنة.

ودارت بين الأتراك العثمانيون والفرس معارك صغيرة وكبيرة، وفي إجمالها انتهت سيطرة أو نفوذ الفرس على العراق، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. وطالما كان العراق تحت النفوذ البريطاني، تجنبت (إيران) أي محاولة لتعكير الأمن والسلم، ولكن ما أن فقدت بريطانيا نفوذها السياسي على العراق مع ثورة 14 / تموز / 1058، ابتدأت إيران دون توقف بإثارة المشاكل من كل نوع وصنف، وهذه ملاحظة تستحق الأنتباه والتسجيل ....!

يسجل بعض مسجلي التاريخ الكرونولوجي، أن الصراع العثماني الفارسي هي حرب واحدة بأسم: الحرب الفارسية العثمانية (1623 ـ 1639)، وهي صراع حاولت فارس أن تهيمن على العراق، ولكن ما كان يحول دون سيطرتها التامة، أنه كانت غير مقبولة من الشعب العراق، لأسباب عديدة، في مقدمتها الأساليب الفارسية الهمجية الوحشية، وفي إرغام الناس على اتباع التشيع، ولولا أن العثمانيون كانوا يعتبرون أوربا هي ساحتهم الأساسية، لكانوا احتلوا بلاد فارس بأكملها.

وفي البداية كانت مطامع الفرس في أرمينيا، والتنافس الفارسي / العثماني ابتدأ منذ عام 1514 بصورة اشتباكات متواصلة في القوقاز، وتقع جبال القوقاز السفلية في منطقة الشرق الأوسط الكبير. حيث تعتبر هذه المناطق الحد الفاصل بين أوروبا وآسيا.

ويعد القوقاز من أكثر المناطق تنوعاً ،م الذي يضم أمم وقوميات صغيرة ومن الناحيتين اللغوية والثقافية على وجه الأرض. يتألف القوقاز من القوميات : الجورجية والأرمن والأبخاز، وأوسيتيا. أما القوقاز الروسي فيتألف من كراسنودار كراي، ستافروبول كراي، أديغيا، قراتشاي، تشيركيسيا، قيردينو، الشيشان، إنغوشيا، أوسيتيا انغوشيا، أوسيتيا الشمالية، وداغستان.

وتتنافس روسيا مع الفرس والعثمانيين الأتراك في الهيمنة على المنطقة منذ ذلك الحين وإلى الآن، والأتراك العثمانيين كانت القومية التركو مغول (Turco mongol) والديانة الإسلامية، عاملاً يشد الشعوب التركية منذ ذلك الوقت وحتى العصر الحالي (رابطة الشعوب التركية): تركيا، أذربيجان، أوزبكستان، تركمانستان، كازاخستان قيرغيرستان، قبرص.

كما تمكنت روسيا منذ العهود القيصرية من فرض وجودها السياسي والثقافي (اللغوي والديني المسيحي) على بعض مناطق القوقاز، ولاحقا في عهد الاتحاد السوفيتي أضافت عاملاً إلى عناصر السيطرة على المنطقة بفعل هيمنتها السياسية (النظام الاشتراكي). فيما لم تنجح إيران في مد إشعاع سياسي أو ثقافي أو ديني في المنطقة، لذلك كان سبيلها لفرض وجودها هو إثارة الصراعات المسلحة، وإقامة التحالفات مع جهات من خارج المنطقة.

كانت معركة جالديران 1514 في أقصى شرق الأناضول، قد وضعت نهاية للمعارك الفارسية / العثمانية في هذه الأرجاء، ولكن المعارم نشبت من جديد عام 1578، وأنتهت بتوقيع معاهدة اسطنبول عام 1590 لتكرس الانتصار العثماني وأحتل العثمانيون جورجيا ويرفان، وحتى العاصمة الصفوية السابقة تبريز. ولكن الفرس ما زالوا يضعون أنظارهم على العراق، وقام العثمانيون بأحتلال بغداد عام 1534، وتكرست أنتصاراتهم بمعاهدة أماسيا عام 1555.

ولكن الفرس لا يحافظون على اتفاقاتهم وتعاهدهم حين يجدون من العثمانيين تهاوناً، أو انشغالاً في مواقع أخرى، أو وجود تمرد وأرتباك ضمن الدولة، ولهذا قام الشاه الصفوي عباس بأحتلال بغداد عام 1624 بعد أن تذبذبت العلاقة بين الحاكم العثماني لبغداد مع العاصمة أستانة، وأقام فيها المجازر لسكان المدينة عازماً على إحداث تغيرات ديموغرافية (لاحظ تشابه الأساليب).

لكن العثمانيون لم يكونوا ليسمحوا للفرس انتهاز الفرص، فتواصل القتال، والمعارك كانت تنتهي على الأرجح لصالح العثمانيين، حتى عقدت اتفاقية قصر شيرين ، المبرمة في 17 مايو ـ أيار / 1639، والتي قضت بالتسوية النهائية للحدود العثمانية الفارسية، إلا أن الحدود التي قضت بها المعاهدة لا تزال حتى يومنا هذا تشكل الحدود الغربية لإيران مع العراق وتركيا . وفي العراق أستقر الموقف على ذلك حتى دخول الإنكليز في الحرب العالمية الأولى.

وقد أستغلت إيران بأختلاف حكامها وأنظمتها، التوسع، والسيطرة على شيعة العراق والعرب بصفة عامة، وحين حاولت إيران مد نفوذها الديني نجحت جزئياً حين تمكنت من الهيمنة على قيادة المذهب الأثني عشر (المرجعيات)، وجعلته المذهب الأكثر رواجاً (بوسائل سياسية)، مقابل المذهب الشيعي الاسماعيلي، والمذهب الشيعي الزيدي، بيد أن هذه المحاولات لم تنجح كلياً، إذ أصطدمت أيضاً بالقضية القومية، ففشل فشلت كبيرا في أذربيجان الشيعية / التركية، ولم يحقق النجاح التام في البلاد العربية، أما وبعد تجربة العراق وسورية ولبنان فهذه السياسة في طريقها إلى الفشل التام.



نلاحظ في إعلام اليوم دهشة لدى بعض القراء .. وربما خيبة أمل لدى بعض آخر ..أن تقف إيران التي تعلن في دستورها أن الدين والمذهب من أسس الدولة.. تقف دون مواربة ولا تردد ولا حياء ضد أذربيجان المسلمة والشيعية، مع أرمينيا المسيحية الأرثوذوكسية، ولا تكتفي بالتأييد المعنوي السياسي، بل تقاتل إلى جانبها بالقوات المسلحة، وهذه لمن فاتته الحقائق، هي المرة الثانية التي ترسل إيران قواتها المسلحة لدعم أرمينيا، فما هو الخطب الجلل الذي يحمل إيران على هذا الموقف المتناقض بدرجة صارخة مع التعصب الديني والمذهبي ..؟

يعتقد البعض أو يروج (وهم غالبا من مؤيدي ولاية الفقيه) أن جذر الموقف سياسي ويتعلق بتعاون أذربيجان مع إسرائيل ... أو الولايات المتحدة . وبصرف النظر عن درجة صدقية هذه الأنباء، وأهميتها بالنسبة لإيران المتعاونة بنفسها مع إسرائيل والولايات المتحدة، فلماذا تحرم هو حلال لها. من المؤكد أن هذا ليس بالسبب الحقيقي الدافع لهذا الموقف الذي سيعمق التناقض الإيراني / الآذري، ولكن على الأرجح أن إيران لم تتخذ هذا الموقف الحاد (التأييد والدعم لدرجة إرسال القوات المسلحة) لو لم يكن الأمر قد بلغ هذه الدرجة من التدهور في العلاقات.، ولنذهب إلى المديات الأعمق ...!

أذربيجان (سكانها نحو 8 مليون نسمة) ويمثل الشيعة فيها نسبة 50٪ من السكان (وفق معطيات الموسوعة الدولية) و45٪ من السنة، و5٪ مختلط من الطوائف المسيحية، وأقلية من اليهود والبهائيون. إلا أن الثقافة العلمانية هي السائدة في المجتمع، وهو السبب الجوهري في استقرار أذربيجان، لولا الإشكالية المتمثلة بالتداخل الأرميني .

أذربيجان الشرقية (وسكانها نحو 4 مليون نسمة) تقع تحت الاحتلال الإيراني ، وقد فعل الإيرانيون كل شيئ ليبعثروا هذا الشعب، من تهجير داخلي وخارجي، إلا أن القضية الآذرية موضوعة ساخنة تطرح نفسها كل بضعة سنوات، وهناك منظمة مركزية تسعى بالانفصال عن إيران والالتحاق بالوطن الأم، وهذا بالضبط ما يشكل القلق الدائمي (إلى جانب حركات أخرى فالانفصال المحتمل لأذربيجان الشرقية ستكون له تداعياته العديدة في مقدمتها وأولا، سقوط نظرية المذهب القائد المهمة جداً لإيران الدولة، باعتباره رباط يجمع بين الفرس (العنصر القائد للدولة) وأقليات متناثرة بالكاد تمنح الدولة الصفة الدينية وهذا ما كان في الاعتبار لدى كافة قيادات إيران منذ عصر الملكيات وحتى عصر الملالي.

والأمر الثاني، فإن الانفصال المحتمل لأذربيجان يؤدي إلى هزة في الموزائيك الإيراني، يتسرب منها التخلخل إلى مناطق أخرى الرفض الشعبي العام فيها تام النضوج كحركة شعب الأحواز، والبلوش، والأكراد. ومن هنا فإن القيادات الإيرانية (على

تنوعها) تتعامل مع القضية الآذرية كقنبلة موقوتة، وبهذا القدر من الخطورة بحيث يدفعها لإرسال قوات مسلحة تقاتل مسلمون شيعة .....!!!!

إيران هو مصطلح فني، لم يكن موجود عبر التاريخ ولم يتأسس إلا عام 1923، وتسميتها التاريخية بلاد فارس. وأهمية وجود "الكيان الإيراني" له تداعياته في المنطقة والإقليم، عدا التداعيات الدولية، وهو سبب ألتحاق إيران (في كافة عصور الدولة الإيرانية) في الاستراتيجيات الغربية. والأمر له علاقة وثيقة بثلاثة أمور في غاية الأهمية:

1. أحتمالات التوسع الروسي.

2. الحيلولة دون تكامل الوجود التركي في حلقة الدول التركية (منظمة الدول التركية : أوزبكستان، كازاخستان، تركمانستان، أذربيجان، طاجكستان، قرغيستان وصولاً إلى أفغانستان).

3. موضوعات الطاقة، وتوزيعها الجغرافي، والخطط التكاملية لشعوب المنطقة.

هذه بأختصار شديد بعض أهم أبعاد القضية، وهناك أصعدة أخرى، وهذه الأسباب والمعطيات تحمل القيادة الإيرانية على إرسال قوات مسلحة إلى أرمينا للقتال ضد الآذريين، وهو أمر سوف يسجل بحروف بارزة ومؤثرة في تاريخ العرقات الآذرية الفارسية.

نكتفي بهذه المعطيات، وفي التأمل بتفاصيلها، يمكن فهم القلق، بل الهلع الإيراني، من تطورات قادمة، تحمل في طياتها مواقف وأوضاعا سياسية جديدة.



هل هذا العنوان واقعي أم به شيئ من الاستخدام الأدبي للمبالغة السياسية ..؟

سأضرب مثلاً أقرب فيه ما أريد قوله. ألمانيا خرجت من الحرب العالمية الأولى بعقوبات وتعويضات فادحة، واقتطاع أراض، وغدت معاهدة فرساي عنواناً للظلم الكبير الذي لحق بالشعب الألماني، بحيث صارت شعارات التخلص من تبعات مؤتمر فرساي،

تقود من يطلقها إلى الحكم، وأوصلت هتلر فعلاً عبر صناديق الانتخابات إلى الحكم، وهتلر تمكن بسياسة الضغط والابتزاز والتلويح بمخاطر انتزاع الكثير جداً من المكاسب، (أستعاد منطقة الروهر، الوحدة مع النمسا، استعادة السوديت من جيكوسلوفاكيا) ولكن التوسع لا يعرف الحدود، ولكنه حين أراد التهام بولونيا (خلافاً للاتفاقات)، أعطى البرهان الصادق أنه أطماعه لا تعرف الحدود، وانتهى إلى تدمير بلاده وخسارة كل شيئ.

الكيان الصهيوني إسرائيل محبوب الغرب ومدللهم، يؤثروه ويغدقون عليه بأفضل ما لديهم من سلاح ومعدات وعلوم وتقنيات، عدا الأموال بلا حساب، ويقفون خلفهم بالحق والباطل، إلا أنهم لم يستوعبوا معنى أن تقضم إسرائيل الضفة الغربية، فإسرائيل التي لم تتمكن رغم كل ما فعلته ورغم الدعم، لم تتمكن من حيازة شرعيتها، والسلام يبدو بعيداً، بل وأزداد بعداً بعد أن عبرت عن أطماع جديدة للتوسع، إن ما تحتاجه إسرائيل ليست بضعة كيلومترات جديدة، بل سلاما ليعيش فيه شعب عاش مشتتاً، وهذا يبعدها عن السلام، لذلك رفع قادة أوربيون في اجتماع علني شعار : " أنقذوا إسرائيل من إسرائيل ".

الثورة الإيراني مضى عليها 41 عاماً والحصاد لحد الآن مآسي داخل إيران نفسها، انتفاضات وثورات واحتجاجات وتظاهرات، انتفاضات للشعوب المقهورة العرب، والكرد، والآذريون، والبلوش، والتركمان ...هذا عدا نضال الحركات الوطنية والديمقراطية الفارسية. الإيرانيون غير مرحب بهم أينما حلوا، ليس لديهم خطاب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي، وحتى خطاب ديني مقنع، ويحل بدل الإقناع سلاح الإرهاب والقتل والتجريف.

الشيعة هم أقلية صغيرة جداً في اليمن ولبنان، وسورية وأفغانستان، وفي كل مكان حتى في إيران ليسوا أغلبية كبيرة، عدا في جمهورية أذربيجان الشمالية، ورطوا الشيعة الأفغان في مواقف سيئة في أفغانستان، وأحرجوا موقفهم .. الآن ينقلونهم إلى سورية، تصور طائر من جبال هندكوش يعيش في بلاد الشام، أي خيال مخرف هذا فاصطدموا بالسكان هناك وسينزحون مستقبلاً الله أعلم إلى أين .. وجلبوهم إلى النجف وكربلاء، ولكن استقرارهم هناك مشروع خيالي .. إيران تريد إشراك كل شيعة العالم بمشاكلها ... والحصاد باهظ التكاليف.

هناك أتفاق أمريكي ـ إسرائيلي بتفاهم ملعون : ماسوني صهيوني وغيرها من الجمعيات السوداء، أتفاق على قتل أكثر ما يمكن من العرب والمسلمين، وأوكلوا هذه المهمة القذرة للفرس مقابل صمت مطبق عن حقوق الإنسان وجرائم الحرب ... ومساندة إيران في مواجهة مشكلاتها ..

41 عاماً متواصلة من حصاد للخيبات والمشاكل مع الجيران، ومع المحيط والمنطقة .. لماذا لا تعرفون أن تتفاهموا .. لماذا يكرهكم كل الجيران، وحتى الأوربيون والغرب، مع أنهم يقدرون لكم خدماتكم بقتل العرب والمسلمين، ولكنهم يعلمون أنكم حليف مشاغب وينتابه الخرف كثيراً ... وحتى وكالة أنباء أوربية كبيرة نشرت تحقيقاً مطولاً عن احتفال ديني بعنوان " الجهل المقدس ".

ولكن اليوم بلغ مستوى التراكم في العجز عن تقديم صورة محترمة لدوله محترمة تستطيع التخلي عن الإرهاب وتصديره، وتوزيع التخريب والقتل والاغتيالات حيثما أمكن لها ذلك، في نشاط لم يسبق أن مارسته دولة في الماضي، بحيث أصبح اليوم بقاء هذه

الدولة عنصراً مهدداً للسلام والأمن والعيش الآمن. وهذه الحقيقة يتحدثون بها سراً وعلناً في أوربا. الأمر صار مفضوحاً أكثر مما يمكن احتماله.

الغرب يعلمون الفائدة والخدمة التي يقدمها النظام الإيراني للغرب، والأمر لا يتعلق بنظام الملالي فقط، بل بسلسلة الأنظمة والأسر المالكة التي حكمت إيران منذ العهد الصفوي وحتى الآن، فهي الأداة التي يستخدمها الغرب للتدخل وإثارة المشاكل ليتسنى لها مد أذرعها الاستخبارية والاقتصادية والعسكرية في المنطقة. لذلك لن يتخلى الغرب عن هذه الأداة المثالية، ولكن حانت الضرورة التاريخية استبداله بنظام يكون أكثر مقبولاً وأوفر احتراماً.

هناك من أقنع إيران أنها يمكن أن تلعب دوراً قيادياً في الشرق الأوسط، وفي الواقع إقناع إيران لتلك الجهات ليست معضلة لأن التوسع هو مبدأ راسخ في التوجه الإيراني ، ففيه تصدير لأزمتها وهي تعاني من أزمة هوية، ولكن الجهات تلك أقنعوها أن تكون فاتيكان الشيعة في المنطقة كمرحلة أولى، ولتدور صراعات لا تنتهي (بدلاً من التنمية) .

وفوق هذا، إيران لا تمتلك شيئاً من وسائل الانتشار والتوسع، وهذه علة قديمة تصاحب الطموح الفارسي عبر التاريخ، فالفرس لا يمتلكون شيئاً لتقديمه للشعوب الأخرى ... لا شيئ البتة ..! فلا اقتصادهم قادر أن يكون اقتصاد محيطي، فليست هناك صناعات ولا حتى منتجات زراعية، ولا ثقافة محترمة، ولا تقاليد سياسية واجتماعية ... لا شيئ من كل هذا .. فالتوسع قائم بقوة السلاح والقتل اليومي بدون أفق .. والدليل الساطع أن حصاد 41 عاماً من سياسة تصدير الثورة لم ينجم عنها سوى التخريب وشبان مهوسيين يربطون رؤوسهم بخرق سوداء يقفزون في الشوارع بأيدهم السلاح .. حسناً وماذا بعد .. !

نعم هذا التخريب مطلوب من الغرب، بل هو هدف اللعبة، ولكن التخريب بلغ مداه الأقصى، وبعد قتل الملايين، وتهجير عشرات الملايين، والآن وبعد ومرور 41 على المجزرة الفارسية ..إلى متى ..؟ لنفترض أنهم سيحولون هذه الأرجاء كلها إلى فارسية وهو حلم خرافي... ولكن لنقبل بهذه الفرضية ..حسناً، إيران نفسها تمور وتفور بانتفاضات وثورات وتعد بالكثير في بطن التاريخ المقبل ..هناك من يفكر من العقلاء حتى بين السفلة والمجانين لديهم ما تبقى من العقل ليتسائلوا ... وماذا بعد ؟

الحل هو الإتيان بحكومة (إيرانية) قادرة على العيش والتعايش ...أن تكون مقبولة داخلياً، وأن تمارس دورها المطلوب والمقبول في المنطقة، ولكن بتكاليف أقل ... كان الشاه يمارس هذه الدور لهم بأناقة (نسبياً) يتدخل هنا وهناك، في الخليج والعراق، بل وحتى في أفريقيا.. ولكنه حين بالغ في تقدير نفسه وأراد أن يتحارش بالدول العظمى، قالوا له .. كفى .. ودبروا له الثورة الإسلامية ليموت كأبيه في الخارج مريضاً مهموماً.

هناك مؤشرات عديدة تدل أن الدور هذا بلغ غايته في عهد الملالي .. ولكن هناك من يريدها سكرة حتى الثمالة ..



إيران تتقاذفها المحن العصيبة، وإحدى أساليب تجاوز المحن عند الكلاسيكيين من أصحاب الفكر الذي يؤمن بالتوسع، إذ يعتقد أن في ذلك رقي البلاد، ومن أسباب القوة والمنعة. بل وأكثر من ذلك ، فمنهم من يعتقد أن سر الخلاص من الأزمة ووصفة العلاج والخلاص من دوامتها، هو الهروب إلى الخارج، أقفز خارج الأزمة، وتكبير اللعبة، فذلك سيستدعي لاعبين جدد، وسوف تتغير قواعدها، وبعدها يجري تقاسم جديد، ولكل حادث حديث ، نكون نحن قد حافظنا على ما بحوزتنا ...! هذا ما لم تحدث مفاجئات ليست في البال .. وغالباً ما هناك مفاجئات ..!

وحيث من المستبعد جداً أن يكون المرشد الإيراني خامنئي يدرك تفاصيل هذه المعادلات السياسية التي لا تخلو من الصعوبة والتعقيد، وأكثر منها في التطبيق، فمن المرجح أن أحدهم قد أشار له، فقد سبق لي أن قرأت مقابلة مطولة مع خامنئي حين كان رئيساً لجمهورية إيران في أواسط الثمانينات مع مجلة دير شبيغل الألمانية (Der Spiegel) ومنها يستنتج القارئ ضعف قدراته السياسية.

وأعتقد أن أحدهم قد نصح المرشد خامنئي بمفردات أزمة الكساد الشهيرة في الولايات المتحدة الأمريكية (Great Depression) في ثلاثينات القرن المنصرم، حيث كاد أن ينهار معقل الرأسمالية، لولا التدهور الحاد في الموقف السياسي في أوربا، الذي قاد في نتائجه إلى الحرب العالمية الثانية:

ـ دخول هتلر للنمسا عام آذار 1938

ـ دخول ألمانيا لتشيكوسلوفاكيا آذار 1939

ـ دخول ألمانيا لبولونيا أيلول 1939

هذا عدا أن اليابان كانت قد أصبحت قوة اقتصادية / عسكرية كبيرة في شرق آسيا، وتسفر عن خططها التوسعية في كوريا والصين وجزر الفلبين، وصولا إلى الفلبين واندونوسيا، والجائزة الكبرى ... أستراليا. أحداث حملت الولايات المتحدة التخلي عن قانون "الحياد" وتشريع قانون جديد (قانون الإعارة والتأجير) آذار / 1941، " Lend Lease Act " وبعدها بتسعة شهور دخلت بنفسها الحرب، فكان أن تحول الكساد العظيم، إلى أرباح خيالية، وسحب الأرصدة من الذهب والعملات إلى أميركا التي تربعت وما تزال على عرش الاقتصاد العالمي.

ولكننا اليوم في أواسط عام 2020 ، والأمريكيان لديهم على الأقل ما يسوقونه، (ليقتنع البعض) بديمقراطيتهم، بثراءهم، بسلعهم الفاخرة ، بموسيقى الجاز، بالببسي كولا، والهامبرغر، وابل آيفون، ولكن إيران بماذا تبشر في الدول التي تتطلع إليها ... بغير الإفقار والنهب والشتائم المقذعة، وقلة الأدب والهمجية والتخلف، وهم بالكاد يدفعون رواتب موظفيهم ..!. الأمريكان والمتوسعون يمتلكون على الأقل أساليب التوسع، من حضارة وثقافة ولياقة، وإيران لديها أزمة في كل ذلك .

وصلنا إلى بيت القصيد ... الأزمة ...! هل هناك أزمة في إيران ..؟

يندر أن يكون هناك بلد تحاصره الأزمات كإيران ... على جميع الصعد وعلى كافة الاتجاهات، أزمات عميقة كامنة وظاهرة توشك أن تلتهب حتى من عود ثقاب صغير ..

أزمة اقتصادية خانقة من مظاهرها العامة كثرة الانتفاضات التي تطلب بحياة محترمة.

أزمة سياسية عميقة، من مظاهرها نظام ثيوقراطي متخلف، ديني طائفي، يعتمد القمع الدموي ليستمر في الحكم.

أزمة ثقافية، فسياسة البلد تعادي الثقافة والتحضر، فسياسة البلاد تعتمد سياسة محاربة الثقافة والفن والأدب، بل تشجع المزيد من الغطس في الجهل والتخلف فالثقافة ومنجزاتها هو العدو الرئيسي للتيار السياسي الديني.

أزمة وحدة وطنية، هي الأزمة الأعمق من بين دول المنطقة: فهناك جبهة تحرير أذربيجان، وحركة تحرير كردستان (وقد سبق في تاريخ الشعبين تأسيس نظام مستقل)، حركة تحرير بلوشستان، وحركة تحرير الأحواز العربية. ومن أزمة الوحدة الوطنية يمكن تصور أبعاد الأزمة الثقافية، والأزمة السياسية.

أزمة مع الدول المجاورة ودول الإقليم بسبب التدخل الذي لا يتوقف في الشؤون الداخلية ومحاولات إحداث اضطرابات.

أزمة في علاقاتها الدولية القائمة على عدم الشفافية. وترسيخ مبدأ إيران دولة غير موثوقة.

كيف يمكن لدولة أن تكون موثوقة، ذات سياسة حصيفة، إذا هي تلعن رسمياً، أن حيث يكون قبر لأحد الأولياء هو موقع إيراني. أما كيف يمكن إثبات صاحب هذا القبر، ولماذا عائديته لإيران، فهذه فلسفة خرافية لا يفهمها إلا واضعوا أسس هذه السياسة، لماذا العراق وسورية ولبنان، والكويت والبحرين واليمن .. وربما غيرهم .. لماذا هذه دول إيرانية ..؟

في العالم المتحضر يعلمون أن هؤلاء حفنة من شذاذ الأفاق والمخرفين، يتحدثونها في أوساطهم، ولكن المصالح الدولية (أقتسام العالم) يقضي ببقاء الوضع على هذا الحال في إيران، وهذه المصالح هي التي حرمت الشعب الآذري من وحدة بلاده (الشطر الجنوبي منه تحتله إيران)، والمصالح الدولية حرمت الأكراد من حقوقهم، والمصالح الدولية قضت بمنح الأحواز العربي لإيران من أجل توزيع النفط في الخليج، والمصالح تقضي بمنع البلوش من الالتحاق بوطنهم في الباكستان، لئلا تكبر الباكستان. إذن إيران هي كيان توافق دولي، وسيبقى الأمر هكذا لأجل غير معروف بعيد أو قريب ... إذن هي كيان سياسي، ممكن أن يكبر أو يصغر حسب الظروف ..!.

اليوم هو غير 1935، وغير 2003، من اليوم فصاعداً 2020 هناك حسابات جديدة .. العالم يتغير، ولم يعد وراداً أن يتمكن حفنة من حثالة ملالي أن يقودون العالم نحو السلام والأمان والتقدم، فهذه المخلوقات اختصاصها هو إثارة الشغب، وتجنيد أسافل الناس والشقاوات والسرسرية، والتهديد والإرهاب، وإطلاق الشتائم والسباب، واللعنات، بلغة تستحق الانقراض، اليوم تحاصر المشاكل نظام الملالي المتخلف، فيطلقون التهديد وفق نظرية سخيفة، بدل أن يطلبوا منك، أطلب منهم وضايقهم بالصخب والزعيق ....!

العرب يقولون مثلاً رائعاً " ما هكذا تورد الإبل يا سعد ". سأدون أدناه مانشيتات لأهم التقارير العالمية هو إيران ... وذيولها في المنطقة ..:ـ

ـ بين العلم و"الجهل المقدس" كورونا تضع إيران أمام مأزق عقائدي ...!

ـ الدنمارك تحاكم متهماً بالتجسس وتنفيذ اغتيالات لصالح إيران.

ـ ألمانيا ـ انطلاق جلسات أول محاكمة في العالم بشأن التعذيب في سوريا.

ـ ـ ألمانيا تحظر حزب الله اللبناني وتشن حملة أمنية ضد أنشطته.

ـ حزب الله.. كيف سيتأثر مالياً وسياسياً بحظر أنشطته في ألمانيا؟

ـ الأسد قد سقط بلا رحمة عند الروس. ديكتاتور، ضعيف، وغير مقتدر.

ـ قرار ألمانيا بحظر أنشطة حزب الله..شجب إيراني وصمت لبناني.

ـ ليس بسبب كورونا وحدها.. الفنانات الإيرانيات والحجر المنزلي.

ـ هل تقضي روسيا على الهلال الشيعي في سوريا؟

ـ ماذا يعني غياب الطائرات الروسية وتلميحات إيران حول استقبال الأسد؟

ـ هل يسعى الكرملين إلى التخلص من بشّار الأسد؟

هذه عناوين لأحد عشر تقريراً أجنبياً (ألمانياً) خلال أيام قليلة فحسب (أربعة أو خمسة أيام)، وهي القليل من بين كثير وهي تقارير موثوقة رصينة... تقارير تضع إيران في مرتبة منحطة بين الدول والمجتمعات، وهذا النظام الفاشي المتخلف الذي مضى على وجوده 41 عاماً من حرب لحرب، ومن فضيحة لأخرى، ومن مصيبة لأخرى ... فقط لأنه بقاؤه يفيد القوى العظمى من الدور الذي تلعبه في المنطقة، والشعوب من جيران إيران تدفع ثمن جهل وتخلف هذا الجار .. والشعب الإيراني بكل مكوناته ... ولكن ربما يلوح الأمل في الأفق ...!



أرسل لي هو صديق وزميل في آن واحد، مقالة تبحث في العلاقات الإيرانية / الغربية ـ الشرقية وتأرجح مصالحها اليوم بين تحالفها التاريخي مع الغرب وصياغة مصالح جديدة تضمن لها قدراً أكبر من المصالح مع كتلة تتشكل في الشرق بقيادة الصين / روسيا. وإيران اليوم تتدخل في أكثر من ساحة عربية، وهو دور مرسوم لها ويسمح لها بأن تجيش الجيوش لدول بعيدة عنها (إلى سوريا) وتؤسس الميليشيات وأن تغتال من الشخصيات من يقف عثرة في طريقها (في لبنان) ، وتحرض على إسقاط الشرعية عير مليشيلتها (في اليمن) ، تفعل كل ذلك وفق قاعدة : من أمن العقاب أساء الأدب، ومن يتحرك مجازاً، يتحرك خفافاً غير خائف، لا من دركي تفاهم معه في أمره، ولا من قانون أمن شره.

من أجل فهم دقائق هذه العلاقة التاريخية المرتبطة بمصالح ليس من اليسير تفكيكها وإعادة صياغتها، لابد لنا أن نذكر، أن الصفويون تحولوا إلى التشيع عام 1501 وأرغموا معظم الشعوب الإيرانية على التشيع، لكي يقطعوا كل صلة مع دولة الخلاقة العثمانية الشرعية وكانت عماد سياستهم الخارجية التوسع في البلاد الإسلامية ومناكفة دولة الخلافة العثمانية، أي أن الواجهة الدينية هي في الواقع واجهة سياسية .

ونتيجة فشلها في التصدي للعثمانيين، تحول مبدأ الاستعانة بالغرب إلى قاعدة سياسية لهم، وفي الشرق التعاون والتنسيق مع روسيا القيصرية. وأضحت منذاك إلى فقرة أساسية في السياسة الخارجية الإيرانية بصرف النظر عمن بحكم إيران. فالعقل السياسي الفارسي يتملكه رهاب وجود أمتان عظيمتان على خاصرتها هما العرب والأتراك، ولهاتين الأمتين لغة وتقاليد حكم وسياسة وثقافة متميزة، ويمثل الأتراك جناحاً مهماً من الوجود الإسلامي، لذلك يجد الفرس أنفسهم (بديهياً) ملتحقين عضوياً في أي مشروع يضعف العرب والترك ويضعون أنفسهم في سياقاته ومساراته، ولربما ينالون بعض من مكتسبات هذه السياسة التي ليسوا هم من يتحكم بمساراتها، لذلك أكتسب هذا المنهج صفة العمل كمشارك ثانوي، وطالما أن مخططوا السياسة في الشرق والغرب يدركون بوضوح تام الأبعاد والبواعث المحركة لهذه الاستراتيجية، لذلك فهم يتعاملون مع الدولة الفارسية في هذا الإطار ضمن أي تحرك في منطقة الشرق الأوسط، وأواسط آسيا.

وفي هذا الإطار تندرج كافة سياسات الدولة الفارسية (بصرف النظر عن أسمها ومن يحكمها) ، لذلك وضعت نفسها في خدمة هذه الاستراتيجية، ففي الحرب العالمية الأولى، دخلت الجيوش الروسية إلى الأراضي العراقية عن محورين: الأول محمر خانة ـ حاج عمران ـ راوندوز، والمحور الثاني مضيق بايطاق ـ قصر شيرين، خانقين، ولكن الجيش الروسي أنسحب بعد قيام ثورة أكتوبر الاشتراكية، وعندما دخلها الإنكليز في الحرب العالمية الأولى، منحوهم القطر العربي الأحوازي، ليس كمكافأة، بل لخلق دولة فارسية قوية تلعب دوراً مرسوماً لها تنفذه بطاعة في المنطقة، ولكي لا يكون ضفتي الخليج العربي عربياً فيستحيل بحيرة عربية بكل ما يعنيه ذلك من معاني سياسية واقتصادية وعسكرية / استراتيجية.

وفي الحرب العالمية الثانية، أحتل الجيش السوفيتي مساحات شاسعة من شمال إيران بضمن ذلك كامل الأراضي الأذربيجانية، وضمتها في البداية للجزء الاشتراكي من أذربيجان الشمالية، كما سهلت قيام حكم كردي في الأجزاء الكردية من إيران، وكانت موسكو تأمل أن يساعد ذلك على سقوط نظام الشاه بيد القوى اليسارية (حزب تودة الشيوعي) ولكن الغرب، بريطانيا دخلت إيران من العراق واحتلته دون مقاومة، وفتحت الطريق الاستراتيجي لتزويد الاتحاد السوفيتي بالسلاح والعتاد ليقف بوجه النازية. ولعل الحكومة الشاهانية سهلت دخول الإنكليز ليقفوا بوجه السوفيت، وهو ما تحقق فيما بعد فعلاً، إذ دافعت الولايات المتحدة وبريطانيا عن الكيان الإيراني في كواليس المفاوضات وسحبت موسكو قواتها إذ كانت منهمكة بترتيب أوضاعها في أوربا الشرقية، فمنحتها الأولوية الاستراتيجية، ولم تشأ أن تفسد نشاطها السياسي / العسكري، وإذ تخلخلت الأوضاع، تخلى الروس والأمريكان عن الكرد، فسقطت جمهوريتهم الوليدة في مهاباد 1946 وأعدم قادتها من أكراد إيران والعراق.

والعلاقة السوفياتية / الإيرانية ظلت تنطوي على الحيطة والحذر، وكانت موسكو ترعى حزباً شيوعياً إذ كان الحزب الشيوعي الإيراني يعتبر أقوى حزب شيوعي في الشرق الأوسط، مما يجعلها تعلق الآمال عليه بدرجة ما، وبالمقابل فإن الشاه خشي هذا الاحتمال الخطر المصوب إلى عرشه، فلجأ إلى الغرب وتوج هذه العلاقة بأنظمامه إلى حلف بغداد عام 1955 الذي ضم أيضاً تركيا والعراق وباكستان وبريطانيا، واحتفظت الولايات المتحدة بمقعد مراقب عسكري فيه. وبدا لإيران أن ذلك يطمأن هواجسها إلى حد ما، بالإضافة إلى تسليط حملة قمع وحشية ضد الحزب الشيوعي الإيراني (تودة) .

في السنوات الأخيرة من حكم الشاه بعد ثورة أسعار النفط الخام (1972 ـ 1973) أتسع طموح الشاه، وبدأ بتوسيع صلاته وتدخلاته بدول المنطقة (عمان) بل وأبعد من المنطقة (إلى الكونغو) ، وتمادى بطرح إيران كقوة عظمى، مما أزال الكثير من مخاوفه، فأتجه لإعادة تأسيس علاقاته مع الاتحاد السوفيتي الذي كانت قد تسللت البراغماتية إلى سياساته، بعد تلاشي التعصب الآيديولوجي الدوغماتي الستاليني، فأخذ الشاه يتزود بالأسلحة من الاتحاد السوفيتي، والسوفيت بدورهم أخذوا يشجعونه فزودوه بدبابات (ت 62) قبل أن يزود مصر وسوريا والعراق، وبالغ العقل السياسي الفارسي (كعادته تاريخياً) برسم خطوط توسع لتبلغ المحيط الهندي، وليدق جرس الإنذار للأستراتيجين الأمريكان: نحن نعطيك السلاح والأمان لتعمل لنا، لا لتقيم إمبراطوريات خرافية.

منحت هذه الأحلام والأوهام الشاه محمد رضا بهلوي شعوراً متزايداً بالعظمة، لأن يطالب برفع درجته في التحالف مع الغرب إلى درجة الشريك، وقد أمتلك مقدمات الدور الأكبر :

• جيش ضخم يعد من أقوى الجيوش في العالم.

• وارادت عالية من النفط.

• علاقات وثيقة مع الاتحاد السوفيتي لدرجة تزويده بأسلحة متقدمة.

• علاقات حسنة مع محيطه العربي (مع مصر أولاً ثم سوريا الأسد) .

• خفوت مطمئن لقوى المعارضة الإيرانية.

توج الشاة بهلوي هذه الأحلام ليجعلها قريبة للواقع، فتوج نفسه وريثاً تاريخياً للإمبراطوريات الفارسية في في أحتفال باذخ في العاصمة التاريخية برسبولس. بيد أن هذه الإشارات أعطت انطباعات سلبية للإدارة الأمريكية في عهد الرئيس كارتر، فأضمروها له، لذلك شهد حكم الشاه البهلوي انحدارا سريعاً حتى سقط على أيدي الملالي عام 1979 في سيناريو يحمل بصمات المخابرات الأمريكية، وبنفس الوقت نشير إلى دلائل ومؤشرات مادية في مساهمة الولايات المتحدة بإنهاء نظام الشاه، لأنه لم يعد يفي بمتطلبات السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، دلائل تتواصل في الواقع حتى وقتنا الحالي.

ليس بوسعنا أن نبرئ هذه الأحداث من دور القوى العظمى، فالمنطق السياسي يقودنا دون شك حيال هذه الأحداث الكبيرة، طالما لا توجد تبرعات في السياسة، ومواقف مجانية حتى في الحالات الصغيرة جداً، ومن المؤكد أن الصفويون كانوا على صلة بخصوم الدولة العثمانية، (الغرب وروسيا) ولهذا منحت جائزة لا تستحقها أبداً بإشراكها في مؤتمر برلين وحصولها على أراض تركية قضاء كوتور شرقي مدينة وان في مؤتمر برلين 1878. ولهذا يقترح الغرب اليوم حضور إيران في المفاوضات بشأن سورية.

فالتحالف الغربي أو الشرقي إذن ليس بجديد في السياسة الإيرانية، ويندر في التاريخ السياسي أو الجيوبولتيكي (Geopolitikal) وجود كيان سياسي يرتبط بهذه الدرجة بمهمة القيام بدركي الشرق الأوسط (حتى إسرائيل) ، أو بدور مثير المشاكل (Troubelmaker) ، دور يكاد يطغي حتى على دورها في سوق النفط العالمية.

ودون شك يدرك ملالي طهران، أن الولايات المتحدة حليف غير مضمون، فهم بذاتهم وصلوا السلطة نتيجة بيع الولايات المتحدة لجندي من جنودها (الشاه) ، مقابل حصان، والحصان بدوره صالح للبيع مقابل قلعة، (حسب قواعد لعبة الشطرنج الدولية) ولكن دعنا نقر الحقائق واقعياً : من هي القوى العظمى النزيهة اليوم في العالم، لا أحد يتعامل معك إلا بما في يدك من أوراق، وعلى اللاعب الماهر إبقاءها بين أيديه دون تفريط، لأنها سر بقاؤه ومصدر قوته، ولا علاقة للأخلاق في هذه التعاملات.

يدرك الملالي أيضاً، أن الولايات المتحدة سوف لن تغفر لهم اللعب بعيداً خارج الخط (أداء خارج النص) ، وإذا كانت التكتيكات مسموحة، ولكن تحويل المسار بدرجة كبيرة له عواقبه الوخيمة. وتعلق الولايات المتحدة بالشرق الأوسط هو أكبر من أسهم وأرصدة الروس فيها،ولا ينبغي أن ننس أن الولايات المتحدة أصدرت مبادئ (Doctorin) ترومان 1947 / أيزنهاور 1956 / نيكسون، كارتر 1980، تكرس منها مبادئ الرئيسين أيزنهاور وكارتر (Eisenhower, Carter Doctorin) حول الشرق الأوسط، ومبدأ كارتر الأحدث تكرس للخليج بصفة تامة (تعتبر الولايات المتحدة أن أي محاولة للتدخل من قوة خارجية على منطقة

الخليج أعتداء على المصالح الحيوية للولايات المتحدة وسيتم صد هذه المحاولة بكافة الوسائل منها استخدام القوات المسلحة) ، ووفق هذه النظرية تدخلت الولايات المتحدة في الخليج منذ 1991.

أما الصينيون فلا يزالون بعيدين عن هذه المائدة العامرة. ويخيطون بمسلة طويلة، والمئة عام عندهم كعقد من السنين، وها هم أنجزوا الكثير وحازوا على مقعد بين الخمسة الكبار، واقتصاد متين، واستعادوا هونك كونك من الإنكليز (1997) ، وشبه جزيرة ماكاو من البرتغاليين (1999) ، وكل ذلك دون أن يطلقوا رصاصة واحدة. والآن سوف لن يسفحوا قطرة عرق واحدة من أجل عيون الإيرانيين.

والروس يسرهم أن يتعاملوا مع دول في المنطقة، يبيعون لهم أسلحة لا يحصلون أو يصعب الحصول عليها من الغرب، وإذا كانوا يبحثون عن سبل توصلهم إلى المنطقة، ولكن بشرط أن تكون سالكة آمنة ...! وها هم (الروس) يقيمون علاقات واسعة مع السعودية ومصر، ومع الجزائر أساساً، ويتطلعون إلى اليمن، بل وحتى إلى دول الخليج وحتى علاقتهم التاريخية مع سوريا ينظرون إليها كمأزق يتطلعون إلى التخلص منه، ولو بنصف مكسب، وحولوا سوريا بالاشتراك مع الإيرانيين بابتذال سياسي إلى بازار.

والولايات المتحدة سوف لن تسمح لإيران التمدد إلا بمقدار ما يكون ذلك مفيداً لخططها. لذلك نرجح أن تبقى إيران تدور في الفلك الأمريكي بهذه الدرجة أو تلك من الأنصياع، يحاولون حيناً أبداء التمرد ليعلو كعبهم متراً، ثم يتقهقرون بعدها أمتاراً، والأمريكيون ضالعون بخفايا العقل السياسي الفارسي، ومن المؤكد أن لهم بين قيادات الملالي أصدقاء وأنصار. وبمزايا وخصائص كالتي تتمتع بها إيران لن يدعها الأمريكان تفلت من أيديهم بعيداً، بدليل أن المحادثات النووية التي ابدوا فيها من الصبر وطول الأناة الشيئ الكثير، هي خير دليل على قدرة الولايات المتحدة على استيعاب الطموح والجموح الإيراني.

وبرغم أن الفرس يتعاطون السياسة منذ قرون كثيرة، ولكنهم كشعب شرقي يميل لأستخدم عواطفه وهنا تقع الهفوة، فالسياسي الفارسي ما أن يشعر بالقوة حتى يترهل ويتخلى عن حذره، أو يدرك حاجة الآخرين الماسة لخدماته (موقعه، ومزاياه الأخرى) حتى يبدأ بالمغالاة، والمبالغة وهي آفة سياسية، والفارسي يميل للغطرسة وإن لا يمتلك قدراتها، والميل إلى الأبهة والفخامة هي من السمات الأصيلة في العقل السياسي الفارسي.

ويبدي العقل السياسي الفارسي صبراً جميلاً عندما يخسر ويتقهقر، ولكنه يضمر ذلك في نفسه، وخططه اللاحقة تقوم بدرجة رئيسية على الانتقام لدرجة أنها تفقده رشده فيبالغ وهنا يخسر في قدره ورؤية الآخرين وتقديرهم له من خصوم وأصدقاء أو محايدين، وليس محموداً في السياسة عندما يتأكد الطرف المقابل من رد الفعل، ورد الفرس على أي مقترح أو مشروع معاد للعرب وللمسلمين مرحب به بل مهلهل تهرول إيران صوبه لدرجة الخفة وفقدان الاتزان، وهذه نقطة معروفة لكل من يتعامل مع إيران سراً أو علناً، ويمكن لأي طرف المناورة عليها.

أما العقل الفارسي فهو يدرك أنه مهم للغرب كما للشرق، ولكل من يريد أن يفكر بإلحاق الأذى بالعرب والمسلمين والأفغان، والباكستانيين والبحرين، والشرق أجمعين، فيتدلل يحدوه قول الشاعر : عرف الحبيب مقامه فتدلل...



زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع

ورأيتُ نبلَك يا فرزدق قَصَّرت ورأيتُ قوسَك ليس فيها منزع

في إعلانين مثيران للهزل والضحك، في مؤتمر فلسطين بطهران، يعلن قائد نشهد بأن له ماض تليد، ولكنه يضع ماضيه اليوم في بورصة السياسة، فيخسر مصداقية المقاتل، ولا يكسب مزايا السياسي / الدبلوماسي. عندما يهدد هذا القائد أجتياح الأردن لينطلق منها لتحرير فلسطين .. فيحمل الناس على الاعتقاد أنه يلقي بمنولوج ...

في محاولة لفهم المغزى الكامن وراء هذا المطلب لنجد في نهاية المطاف أنه لا ينطوي إلا على هدف جوهري واحد وهو إحراق الأردن بنيران فارس الصفوية، وزج الشعب الفلسطيني في معركة فناء لها أول وليس لها آخر إرضاء لأطماع طهران.

ترى هل قلقت إسرائيل من هذا التهديد الخطير ...؟

برأينا أن الأرجنتين أهتمت للخبر أكثر من إسرائيل، التي ما أن سمع قادتها هذا التهديد الخطير، حتى أطفؤا الضوء، وأداروا ظهورهم وأستسلموا لنوم عميق لذيذ. فهم أكثر من يعرف معنى هذا التهديدات الجوفاء، فمن معركة التي يبشر بها الفرس بها في الأردن، وحفلة العراق لما تكتمل بعد، ومسرحية سوريا لم تحن أكلها بعد، ومأساة / ملهاة لبنان ما تزال لم تحسم، والحوثيون يبحثون في الكهوف، نعتقد أن أجتياح الأردن بالون في الهواء ليس أكثر.

لنجر حسابات منطقية : فبين أحتلال الأردن، وإقامة قواعد العمل، وتدمير البلاد (وهو تقليد فارسي كمستلزمات عمل) سيستغرق عقوداً. فعلام الخلاف بينكم علاما وهذه الضجّة الكبرى علاما ..... ولم كل هذه الضجة والمشقة فإسرائيل لها حدود برية مع لبنان قدرها حسن نصرالله بـ 79 كم، ومع سوريا 70 كم، وحدود بحرية مفتوحة وقدرها 224 كم، والمجموع 373 كم، ويقيناً إذا حررنا الأردن من الأردنيين، سيزعم الفرس أن تحرير موريتانيا لابد منه لتحرير فلسطين، ولم يسأل أحد نفسه لماذا ونظام الملالي في الحكم منذ 38 عاماً ولم تقاتل هذه الدولة إلا العرب والمسلمين وفق مهمة تخصصت بها الدولة الفارسية صفوية كانت أم قاجارية، أم بهلوية أو الحكام من حثالة إيران من الملالي، فدور إيران السياسي المسند لها منذ ما يريد على أربعة قرون، هو أن تكون بيضة القبان في الألعاب الاستعمارية والأجنبية بصفة عامة في الشرق الأوسط، وتهدد وتزعج وتخرب

وتدمر إن استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وإلا فالخرائط الدقيقة تشير إلى موقع إسرائيل وإلى مواقع الشياطين الكبار والصغار، والأحداثيات تستخرج بثوان، وضمن مدى صواريخهم، ولكنهم وبإخلاص شديد لا يشتغلون إلا ضد المسلمين، والعرب هذا هو الواجب المسند لهم رسمياً من الشياطين العظمى، وهو ما يعتاشون عليه ..

ومضحك آخر، يلعب فيه ساذج دور المهرج، يهدد بحرب وطنية تحرير الجولان بشعارات طائفية، ويطلق على دوره أسم له قيمته الاجتماعية، ليحاول أن يوهم من في عينيه غشاوة، ولا يخشى السؤال لماذا لم يفعلها أرنب الغابة في دمشق وهو يمتلك ألاف الطائرات والدبابات ..؟ منذ نيف و44 عاماً ؟ ولكنه يمتلك الجرأة على قتل شعبه بكافة الأسلحة التي يخسأ أن يرفع منها قلامة ظفر بوجه العدو الحقيقي ..!

ترى ألم يدرك هؤلاء الذين يطلقون هذه الألعاب هو مجرد أوراق سياسية يضعونها في أيدي ملالي طهران، أم هم أرتضوا لأنفسهم القبول بأدوار هزلية ..؟ ولكن لنقف لحظة ونتأمل، ما المقصود من تهريج مفضوح ممجوج كهذا ..؟

1.بادئ ذي بدء لابد من القول، إن أمن إسرائيل هو آخر المقصود بهذه الحفلة الساخرة.

2.أنهم يعدون لحفلة دموية وحروب ممسرحة بداية ونهاية، للتمويه على مستحقات سورية ولبنانية بإنهاء ما يتعرض له الشعبان من عذاب، فيعدون لمسرحية حربية على غرار مسرحية (2006) سيدفع ثمنها الشعب السوري واللبناني، في محاولة بائسة للإيهام بمصداقية معسكر الصمود والممانعة والعناد ..!

3.دولة الأردن وحكومتها، سوف يسمعون هذا الهراء السخيف وسوف يفهمونه على أنه سلعة فاسدة في بورصة سياسات طهران، على طريقة المثل (أياك أعني وأسمعي يا جارة).

4.إذا كان المقصود إسماع الغرب بأننا لنا خلايا نائمة ومغفية، فقد ملوا سماع هذه الأقاويل السخيفة.

5.إن كان المقصود أسماع من يهمه الأمر بإننا لدينا نفوذ كبير على حركات فلسطينية، بهذه نعم... فحقاً نشهد أن لديهم مثل هذا النفوذ، ولكنه نفوذ لا يخشى منه خطر عظيم، وليس بمستوى تغير استراتيجي في موازين القوى. ومن يهمه الأمر يدرك إن الجزء الأعظم من هذه المناورات هو مادي، ويستهدف الإزعاج، وهو مزعج بالطبع، ولكنه لا يفضي إلى ما يستحق الذكر.

6.كل ذي عقل راجح يقدر أن الأمور عندما تصل إلى التهديد بالمهرجين، فهذا يفصح عن محتوى هزيل يعبر عن مستوى ما تبقى من القوة في ترسانتهم من قدرات، وإنهم يلعبون في الوقت الضائع.

7.أو ربما أن الفرس قد عزموا اللجوء إلى الفكاهة، ليعطوا أنطباعاً أنهم قادرون على المزج بين المزاح الثقيل والتلويح بالقوة ..... كل شيئ جائز في العقل الذي يقبل الخرافات.!

لإشقائنا ممن شخصوا إلى طهران وأجتمعوا هناك نقول : في الوقت الذي ندرك فيه صعوبة أوضاعكم على كافة الأصعدة، نقول، أن علاقتكم بطهران ليست بعلاقة تاريخية، والفرس يدركون، وأنتم تعلمون، أن مثل هذه الألعاب التصعيدية لها حد معين ينبغي أن لا تتجاوزه. أنتم طرف في لعبة لا تديرونها أنتم، وهم يستخدموكم كورقة في لعبة بوكر سياسة مع الأمريكان والروس

والإسرائيليين. اللعبة لا تبدو خطيرة الأبعاد في بدايتها، ولكن بعد حين، ستنغمسون في مفردات ضارة بالأمن القومي العربي، وستجدون لأنفسكم في معسكر معادي للعروبة الإسلام، وها أنتم ترون أنها تنخر في صفوفكم، لتضمن أن ما تقدمه لا يذهب هباء، فتحوله إلى "مصالح"، فلا تغامروا بمصير شعبكم على رهانات لا أمل فيها، فإسرائيل سوف لن تقصف طهران .. هم يلعبون لعبة تفاهمات ضمنية، ومن نافلة القول أنه من الممكن أن يبيعوا هذه الورقة عندما تتلائم الصفقة مع السجال الاستراتيجي الذي مآله أن تكون طهران قوة معينة في الشرق الأوسط على حسابكم وحساب مصالحكم.

تذكروا أن هناك قاعدة ذهبية : كل ما يمكن شراؤه .... يمكن بيعه ..!



الفرس يهددون .... كبيرهم وصغيرهم، عاقلهم وأحمقهم، العسكر / الملالي منهم والملالي / العسكر، حتى يحار المرء في أمر هذه المخلوقات، ترى هل يعيشون في غير عالم اليوم، أم أنهم هبطوا من كوكب آخر، الحقيقة يحتار المرء في معرفة إن ما يطلقونه أهي تهديدات، أو نوبة صرع، أو سورة من الغضب الجنوني، أو غباء لهذه الدرجة المستحيلة ..

القائد العسكري الفلاني ... سيان أن كان يضع رتبة جنرال، أو عمامة على البدلة العسكرية، فكلاهما على درجة وافرة من الخرف وقراءة التقويم بالمقلوب بحيلة المغلوب ... يبلغ به الخرف أن يهدد بالزوارق المطاطية .. أساطيل جرارة ..

عندما تعدم السعودية رجلاً بلغت أفعاله درجة تستحق تقديمه إلى القضاء لينال ما نال، تهدد طهران بكافة أصناف من يمثل السياسة عندهم، بل ويعبأون التظاهرات(ودائماً مليونية) لتخريب سفارة عزلاء، ويجدون في ذلك بطولة، ولكن سرعان ما يتراجعون ويندمون (رسمياً على الأقل) ويعدون بمحاكمة من فعل ذلك، ثم لا ينفذون وعدهم حتى شكلياً ...

يهددون سنضرب ونفعل ونترك و...و ...و ... وكأنهم قد قصروا منذ 37 عاماً وحتى الآن ... وكأن الناس لا تعرف أي ضباع تجاورنا ... وأي تجارب لنا معها والغريب يهددون بالحرب مع أنهم في آخر منازلة خرجوا منها يلعنون حظهم العاثر ودون الاعتبار من الدرس ويسبون الذي ورطهم وما زال يورطهم !

عقلهم المفكر يصرح ويا للدهشة ... أن قبوراً هم يعينوها تعتبر خطوط حمراء .... وهي مناطق سيادية لا جدال حولها، هكذا هم يقررون بإرادتهم ويرسمون الحدود الدولية ... حسناً ماذا لو كان قبر مما يقصدون في نيويورك ..؟ أو لندن ..! وماذا لو قلنا أو قال غيرنا أن لنا قبراً بالقرب من طهران ...؟ وهل تصلح هذه كقاعدة للتعامل السياسي والعلاقات الدولية ..؟ وإذا كانت قاعدة فهذا يعني أن الآخرين يتمتعون بنفس مزايا القاعدة ..! هذه ألف باء السياسة والتعامل الدولي .. ! إذن أنتم تطرحون تبديل الحدود الدولية وفق نظرية القبور ..! وتعتبروها قواعد سيادة وأمن ونظام دولي ..!

هم يطلقون سيلاً من التهديدات الهستيرية لأن مملكة البحرين أبعدت من أساء إلى المائدة التي يأكل منها .. حسناً لنقل هذه عاداتهم وأخلاقهم، ولكن ليس عادات وأخلاق غيرهم ممن يقيمون عندهم، لماذا التهديد ...؟ أليس من حق بلد ما أن يبعد أذىً محتملاً، وماكنة تنتج شراً وفق القوانين السائدة ...؟ هو يهدد بمكون وطني هم من آبائنا وأخوتنا وأهلنا ... ترى هل يفعل الآخرون ويهددون بمكونات لهم عندكم، وكيف ستكون الأمور على هذا المنوال ...؟ أمام العدسات تعمل ميليشياتهم بقيادة ضبط نظاميون في معارك في بلدان أخرى، يفعلون كل ما يستحقون عليه محاكمة بجرائم الحرب، والإبادة.

ألا تعتقدون أن العالم كله يعرف جوهركم ومعدنكم .. ومنذ زمن بعيد، ويعلم الجميع وأول الجميع هذا المكون الذي بأسمه تتاجرون وتدقون طبول الحقد والحرب منذ أن قذفت بكم الأقدار والمؤامرات لتدمير المنطقة وتعطيل عملية التنمية فيها .. العالم كله يعرف هذه الحقيقة، ويعرف تفاصيل مؤامراتكم التي تفتقر إلى العدالة والنظافة ..! وزججتم بهم بمعركة حياة أو موت لماذا ..؟

هم يعتقدون أن بلداننا تحتمل حدوث خروقات ... نقول لهم ... من الأفضل لكم أن لا تفتحوا هذه النافذة ... إذ يحتمل أن تهب منها رياح وتقتلع نوافذكم وأبوابكم، بل وكيانكم بأسره. نصيحة لمن يسمع منكم، لا ينفعكم أن تتحدثوا بلغة النسب المئوية، لأن هذا يؤدي إلى الحديث عن النسب عندكم، وعندها ستسمعون ما لا يسركم ..! فأنتم تطرحون إذن نظرية للضم والإلحاق ... للتوسع، ستفهمون على أيدى الأحوازيين، والبلوش، والتركمان، والآذريين، والأكراد معنى الرقص الخطر على الكلمات ...

وأمر آخر أليس من المعيب والمخجل أنكم طيلة 38 تطلقون التهديد، وتغتالون من تخاصمون، تقومون بعمليات تخريب وإرهاب، تشنون الحروب، تشجعون عملاء لكم على الاعتداء، أليس بوسعكم أن تطرحوا أنفسكم جيراناً محترمون، تفهمون بالسياسة والاقتصاد، وأسس التعامل الدولي، بدل الإرهاب، والخلايا النائمة والصاحية وما أشبه ذلك من هذه الخرافات السخيفة، ألا تعتقدون أن يوماً قادم لا يحتاج فيه العالم إلى صانع مشاكل، ومثير فتن، كل شيئ غدا واضحاً لا تحجبه الغربال، وإذ تحدثنا عن علاقاتهم بإسرائيل نقول إن حبل الكذب قصير، فما رأي اللاهثون وراء الفرس مما أذاعه على الملأ حلفاؤهم في موسكو، كل صادراتهم الثقافية وبرامج تعميم الكراهية والحقد تذاع من إسرائيل ... هذا ما تقوله موسكو ...

https://www.youtube.com/watch?v=u17Sa_nfbgg

أليس من السخافة والمعيب، لضابط يحترم رتبته ورجولته وشرفه العسكري أن يشتغل بالتخريب ..؟ ويلوذ بجيش غيره، ويلحس انتصاراتهم، ويستطعم مذاق الفضلات، سيفه صدأ مكسور، ويتفاخر بسيف غيره .. ولا يستطيع أن يغني ويرقص إلا إذا أخذ أذناً خطياً مسبقاً .... يا للعار..

من أمن العقاب أساء الأدب ... هذه قاعدة قانونية

ولكن كل شيئ في أوانه، وكما يقول المثل العراقي .... تجيكم السالفة ...!

سمعنا أكثر من مرة، من يتهددنا، يتوعدنا، بالويل والثبور وعظائم الأمور ويحذرنا إن تصدينا لخطط الفرس ومؤامراتهم، بالخلايا النائمة، وبقوى خفية كامنة، غير ظاهرة، وبقدرات وإمكانات لا نراها ولا قبل لنا بها، وجاء هذا التهديد على لسان رؤساء، وحكام، وشخصيات نافذة في الحكم وخارجه. والعقل السياسي العربي في سماته وسياقات عمله، لا يكترث كثيراً لمثل هذه التهويلات، ولكن هناك في معسكرنا من يريد أن يواصل مهمة التهديد والترغيب، فينطلق في التهويل وبث الذعر(كما يعتقد) ليواصل المهمة في إطار توزيع الأدوار والمهمات، بهدف التأثير في المعنويات وهز ثقة المواطن بكيانه بقياداته، ومحاولة للتأثير في المعركة بمهمة أشبة بالقصف المدفعي التمهيدي الذي يسبق الهجوم العام، لم يفكر الكثيرون منا، من هم يا ترى الخلايا النائمة، (وقد بات هذا المصطلح تحديداً على رأس الطلقات التحذيرية لتلك الجهات البائسة) التي يهددون بها في اليمن والخليج البحرين والكويت والإمارات وقطر والسعودية، أو القوى الكامنة ..؟ التي بها أيضاً يهددون.

المبالغة والتهويل صفة معروفة لمطلقوا هذه الحملات الخلبية (الخلب: طلقة صوتية لا أثر فعلي لها) ونحن في العراق نعرفها أكثر من غيرنا، نعم نحن نقر أنهم متعبون في التعامل، ولكن في النهاية يرضخون للأمر الواقع ويلحسون تصريحاتهم بل أمتنان وقلة حياء. نعم إنهم يلحقون ضرراً بعملية التنمية في بلداننا، ولكنهم يلحقون الضرر بأنفسهم بأكثر من ذلك، فالأموال الطائلة التي تنفق على الأسلحة والتآمر والتخريب ضررها بالدرجة الأولى على شعبهم إذ هي على حساب التنمية والخدمات في بلادهم قبل كل شيئ، ثم أن هذه الأساليب الملائية لا تبعث على الاحترام.

من هم الطابور الخامس في أقطارنا ..؟

الطابور الخامس عناصر لا تحمل السلاح لتقاتل العدو، ولكنها تعمل على تخريب الخطوط الدفاعية، في جبهتنا، ويتألف بالدرجة الأولى من جماهير البسطاء السذج، الذين غسلت أدمغتهم بصورة دقيقة ثم استغفلوهم ويخاطبونهم بلغة يستولون فيها على عواطفهم ورؤوسهم وغرائزهم، ليكون الناتج النهائي عناصر مطيعة تقاد إلى مصائرها حتف أنفها. ولكن الأخطر من ذلك أن مفاتيح هذا الطابور وهي تلك العناصر التي تؤلف بمجموعها وعملها الذي يشابه تكوين وعمل الفرقة الموسيقية، فهناك من يضع الخطة لرجال الطابور، ثم ليعزف كل على آلته لينتج لحناً في النهاية ملائماً لكلمات نص الأغنية. فالفرقة هذه تتألف من :

1. (بعض) من رجال الدين المجيرة ولائهم للدولة الفارسية، بصرف النظر عن طوائفهم.

2. سياسيون تم تجنيدهم في ظروف وأوقات متفاوتة.

3. صحفيون حرفيون أو يمثلون اتجاهات قومية وتقدمية، والبعض منهم يساريون، ومن ديانات مختلفة، يعملون وفق مبدأ العلاقات العامة، والعمل بالقطعة وتأجير الخبرة والقدرة.

4. (بعض) مثقفون من اتجاهات مختلفة ممن يتعاملون مع الثقافة كمهنة وليس كأهداف نبيلة.

الطابور الخامس في بلادنا تشكل عبر عمل طويل كان قد قطع شوطاً حتى في عهد السافاك / نظام الشاه، وتواصل بناؤه بقوة في عهد الملالي الصفويون، ويلعب المال وشتى الإغراءات دوراً مهماً في كسب تلك العناصر، أو التهديد في بعض الحالات بالتصفية الجسدية، كما تعرض إلى ذلك إعلاميون وسياسيون وقادة رأي وشخصيات نافذة، في أكثر من قطر: سورية، لبنان، العراق. ولا نريد هنا أن نرد على كل ما يروج له الطابور الخامس، ولكن نرى من الضروري الوقوف عند بعض اللافتات الرئيسية التي يدور العمل تحتها:

* الخلايا النائمة: لا يتردد حتى رؤساء (بالمنصب، كالأسد مثلاً) وصحفيون كبار، وسياسيون أن يهددون من طرف اللسان بالخلايا النائمة، وأن هذه الخلايا ستحرق الأرض عاليها وسافلها، والحق أن هذه الخلايا دربت على عمليات التخريب والإرهاب، ويغض الطرف من يدعي الحرص على حقوق الإنسان، ومكافحة الإرهاب عن فعاليات الخلايا النائمة، فيصح فيها القاعدة القانونية "من أمن العقاب أساء الأدب" ومع كل ذلك فحصاد التخريب كان مزدوجاً وليس أحادي الجانب، نعم كانت هناك تضحيات وخسائر، ولكن من ربى هذه الخلايا وأنفق عليها الكثير، وبالغ بقدراتها ثم خسرها بسرعة وبسهولة لم يكن يتوقعها.

* مفردات الحملة الشعوبية: وهي ليست جديدة في أساليبها وأهدافها: السخرية من التاريخ واللغة واللباس وسائر المكونات الثقافية، والعمل على إضعاف أصلب المكونات العربية: ثقة العرب بأنفسهم المتأصلة والمتجذرة عبر تاريخ يمتد لأكثر من ألفين عام في العهود التاريخية، والسخرية من العرب وكرامتهم ولغتهم وتقاليدهم، وسائر مكوناتهم الثقافية. متناسين أن العرب علموا العالم الحرف والرقم، ومعظم ثقافة وعلوم العالم جذرها في بلادنا، وهناك من يروج أن العرب يحترفون الهزيمة، متناسياً أن الوطن العربي كان مقبرة الامبراطوريات العظمى عبر التاريخ، ربما هو يحاول أن يثأر لهم ...! وحتى الولايات المتحدة انتهت هنا كقوة عظمى تقرر مصير المعارك الحاسمة، وهذه رؤية لقادة ومفكرين كبار. نعم هي تمتلك القوة لتدمر وتقتل، وربما تعثر مسيرة عملسياسي ودبلوماسي، ولكنها لا تمتلك تقرير صورة نهاية الصراع وتلك هي الفقرة الأهم في أي مسيرة سياسية كانت أم عسكرية. يخيفوننا بأمريكا ... وأمريكا كانت هنا ومعها 350 ألف عسكري عدا حلفاؤهم، وقد هزموا وفروا من العراق بالأقساط أو بالجملة، وها هم يديرون المعركة عن بعد وبواسطة وكلاء خدمة، وكل المؤشرات تدل أنهم ووكلائهم وعملائهم في مأزق.

* إيران تمتلك مشروعاً والعرب لا يمتلكونه : خرافة كبيرة يرددها عناصر الطابور الخامس ويرددها البعض عن سذاجة، أو من قبيل التهويل العاطفي. إيران تمتلك مشروعاً والعرب لا يمتلكونه. العدوان والتآمر ليس مشروعاً لإقامة دول عظمى، ولا يسمى مشروعاً. إيران لم تكسب معركة عسكرية واحدة من مئات السنين، منذ خسارتها لمعارك: ذي قار، البويب، القادسية، النهروان، ومعاركهم مع الدولة العثمانية ...الخ وانتهاء بمعارك القادسية الثانية التي استطالت لثمان سنوات. واقتصادهم يعاني من أمراض مزمنة، ومن المخجل في علم السياسة اعتبار مشروعهم محترم، ونظامهم السياسي صالح للتعميم. والعرب يمتلكون مشروعهم الذي يزعج البعض من الصغار والكبار: التنمية وتحقيق النهضة، التي نقف على أبوابها وتدور المحاولات الحثيثة لتدميرها وإيقافها.

• إيران دولة عظمى : أبتداء، نقول لا يضر العرب من يصبح دولة كبرى أو صغرى، فهذا شأن تختص به مع شعوبها، والعرب لم يدخلوا في مسابقة مع جهة، كل خيره وشره لنفسه، فهي في آخر حرب خاضتها خرجت تلعق جراحها تجر أذيال الخيبة، وسياسياً

هي دولة معزولة من جيرانها، ومهتزة اقتصادياً، والوحدة الوطنية مفقودة على نحو خطير. ونصاب بدهشة كبيرة عندما نقرأ لمن يهوى الفلسفة أن إيران شيدت دولة حديثة، فليقل لنا من يريد أن يتفلسف ويخاطب البسطاء والرعاع والغوغاء ماذا وجدوا في إيران شيئ يستحق أن نحسدهم عليه في نظام يشبه أنظمة القرون الوسطى، أو حتى أشد تخلفاً ..

• الولاية التامة فيها لمن نزل بجواده إلى سرداب منذ نيف وألف ومئتين عام ولما يزل هناك، يأملون خروجه ذات يوم وما يسمى بمرشد الدولة إنما هو وكيله ونائبة، والنظام بأسره يسمى بولاية الفقيه على أيه حال، وبذلك فإنه يتفوق في ديكتاتوريته على أعتى طغاة التاريخ.

• هذا الولي الفقيه يسير شؤون الدولة بأسرها وهو ليس بعبقري ليمسك بكل خيوط الحكم بين يديه، ويبقى في الحكم ولا توجد آليات لخلعه عن الحكم. ويقوم خامنئي بهذه الوظيفة منذ عام 1989 وحتى الآن(37 عام) يحكم إيران حكماً ثيوقراطياً إكريليكياً مطلقاً يقود مشروع التوسع القائم على أسس طائفية وعرقية.

• هذا النظام بوصفه نظاماٍ غير ديمقراطي فبأي حق يحكم شعوبًا لا تريده ولا يمنحها أي من الحقوق الديمقراطية التي يستحقونها كشعوب تمتلك مقومات الأمة.

• هذا النظام يتخذ من تصدير نمطه الرجعي المتخلف علنًا وبأتباع كافة الوسائل الغير مشروعة من التآمر إلى التخريب، والأغتيالات، والتآمر وإشعال الحروب الطائفية.

• يقيم هذا النظام التحالفات المحلية والدولية السوداء والسرية الغير شرعية عون لكل من يريد التآمر، فهو مارس دور الحليف لكل من يخطط لحروب في المنطقة أو ضد نهضتها قديماً وحديثاً فهم كانوا عوناً للإنكليز، والروس والأمريكان، ويتوسلون دور شرطي المنطقة، في دور يتقنوه .

• الأقطار العربية مجرد فسيفساء لا معنى لها، هكذا يكتب أحد عناصر الطابور الخامس، وينس أن بغداد كانت عاصمة لقوة عظمى، وكذلك دمشق، واليمن شهدت دولاً كبيرة (سبأ، ومعين، وقتبان) قبل أن يعلم أحدهم مكانه على الخارطة. ليتفضل ويقرأ من هي الدول المهددة بالزوال ... وربما يتعلم أن المؤامرات لا تنهي شعوباً ودولاً ... دول مهددة بالاختفاء ......

(https://www.youtube.com/watch?v=OOMRKv6rZmk)



تهريج الطابور الخامس

• إيران قررت أن تلتحق بالمؤامرة المعادية للعرب والإسلام، وأن تعمل مقاولاً ثانوياً لدى الولايات المتحدة الأمريكية، التي تشاطرها قلبياً وعقلياً العداء للعرب والإسلام، وبمعيتهم إسرائيل، ونسمع بين الفينة والفينة أنه مرشحة لأن تلعب دور الجندرمة في المنطقة، وتتطلع بشراهة لمطامع ومغانم تتخيلها وتحلم بها، نعم ستتمكن من إثارة متاعب هنا ومشاكل هناك، ولكنها سوف لن تستطيع أن تزدرها، لإنها تفتقر إلى الامكانات السياسية والاقتصادية والثقافية الضرورية. ولكن هذا الدور والفعاليات، يمكنها أن تحدث القرقعة والفرقعة ولكن لا يمكنها مجاراة العصر، ولا يمكنها تأسيس دولاً حديثة بها، دولاً لابد أن تزج بطاقة كافة مواطنيها، (بصرف النظر عن النسب في السكان) من أعراق وأثنيات ومذاهب دينية في بناء دولة حديثة محترمة، قائمة على مبدأ المواطنة كأساس جامع مانع لكل من يسكنها.

• إيران تصدر مشكلة جذرها يكمن في أراضيها، هي بالكاد وباستخدام مفرط للقوة والقمع قادرة على ضبط أرجاء كثيرة في البلاد (نفذت طهران 32 اعداما خلال اسبوع واحد ليبلغ عدد المعدومين في هذا البلد حوالي الفي حالة خلال فترة رئاسة الرئيس الايراني حسن روحاني الحالية)، في الدولة الإيرانية التي لا يشكل الفرس سوى 30٪ من سكانها، هناك اقليات عرقية ودينية لو منحت حق تقرير المصير، لأختارت الألتحاق بكيانات سياسية أخرى(الآذريون مثلاً، والأكراد، والعرب الاحوازيون، والبلوش)، وليس سوى الديمقراطية الحقيقية يمكن تشييد دولاً لا يتسلل العطب إليها يوماً، فعندما يلتهب أحد الأجزاء المصابة، ربما سيسري لسائر الأرجاء، وسيكون العلاج قد فات أوانه ليكون البتر العلاج الأوحد الوحيد المتبقي، وإني أرجح أن إيران قد أدركت هذه النقاط الملتهبة في جسدها وما أكثرها، وأن هذا اليوم قادم لا محالة.

• حصاد المشروع الإيراني : لا أحد يشير أو يتساءل ما هو فحوى المشروع الإيراني: هل بوسع إيران أن تلتهم المنطقة اقتصادياً ، أم لديها نموذج نظام دولة ديمقراطي جذاب ينتمي حتى للقرون الوسطى ..! ماذا لديها غير التآمر وبث الدسائس والتحريض والتهييج..؟ وهل هذا يصلح أن يكون نموذجاً ومشروعاً قابل للتصدير ؟ ... ثم ماذا كان حصاد المشروع الإيراني طيلة 36 عاماً ...؟ ماذا كان حصادهم في لبنان وسوريا واليمن والبحرين والعراق سوى أستنزاف للمال والعتاد والأرواح، وكرة واحتقار أشاعوه بين 350 مليون عربي، ومليار ونصف مسلم، ليس من السهل إزالته. حقاً كمن قتله طمعه، أفلا يسألون أنفسهم أننا كعراق وكأمة عربية هزمنا امبراطوريات عظمى كبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة في العصر الحديث، والرومان وبيزنطة وكسرى وأكسوم في العصور القديمة...!

* المشروع النووي الإيراني : الأمة العربية تعلم أن أشد من يعاديها في العالم هي الصهيونية، ومن ورائها الولايات المتحدة، وبدرجات أخف العالم الغربي، وهذه القوى كلها نووية، ولكن هذا لم يغير في جوهر المسألة شيئاً، فالقضية الفلسطينية لما تزل ساخنة، ولم يفد الصهيونية 120 قنبلة نووية في ترسانتها، والولايات المتحدة قاتلتنا في العراق ولبنان، والسودان وليبيا وأرجاء أخرى، والولايات المتحدة خسرت معاركها السياسية والعسكرية في كوريا وفيتنام وكمبوديا، والعراق وحيثما دست بأصابعها، وانكفأت إلى قلعتها حتى بعد انتصارها في أعقاب الحرب الباردة، وإقامتها النظام الإمبريالي الجديد (العولمة) وتخلت مرغمة عن عقيدة القوة العظمى المطلقة، وكل اعتبارات دولة القوة العظمى (Super Great Power)، القطب الأحادي، المهيمن على العالم، إذ خسرت الحرب في العراق بنتائجها السياسية والعسكرية والاستراتيجية، خسارة واضحة بينة لا لبس فيها، وها هي تمارس اليوم سياسة القيادة من الخلف (leading from behind) أو (behind Drive from)، ولسان حالها يقول وخاصة لحلفاءها من يريد أن يصبح قوة عظمى فليتفضل ...... نحن ندعم، نساعد سياسياً، بالأسلحة والخبرات، ولكن لن ندخل المعارك، وعلى كل طرف أن يتدبر أمره ...! خطاب موجه ليس للإيرانيين والاسرائيلين فحسب، بل وحتى لحلفاءها الأوثق من الأوربيين ضمن الناتو ..!

* تنازل نظام ولاية الفقيه عن (البرنامج النووي) الذي يمثل إلى جانب القمع الداخلي و(تصدير الإرهاب) واحدا من الأجزاء الثلاثة لإستراتيجية المحافظة على النظام فشكل الاتفاق هزيمة للنظام برمته النظام الإيراني كان العامل الأساسي في الأزمات والتوترات في المنطقة، وهو أمر مرغوب ومقبول بل هو مطلوب لإبقاء المنطقة العربية في حالة توتر يخدم المصالح الغربية عامة ويصرف أنظار عن المواجهة الرئيسية مع الصهاينة، والمدهش أن دور مثير المشاكل (Troublemaker) هو دور يتلائم مع مكونات العقل السياسي الفارسي قديماً وحديثاً.

سيقول لنا صحفي متأزم ولا ندري ما هي أزمته ..! أن الولايات المتحدة مستخذية الحكومات العربية، لمجرد أنه يريد أن يشعر بالسعادة للشتيمة ...! ومثله شعراء يمتهنون الشتيمة والسب، فيسب أحدهم بلاده وشعبه ليبرهن أنه قد ألتحم بالغرب، أو ليقبض المزيد، أو ليظهر نفسه أنه من رجال الأدب الغاضب ... وآخر يفهم الصحافة على الطريقة الأمريكية، أدفع نكتب لك ونروج مواقفك، وبعكسه سترى منا قذارة لسان يندى لها جبين الرداحات، لهذه الأسباب وغيرها، فأنا أعرف على سبيل المثال صحفياً عربياً، كان يأمل أن تغدق عليه السعودية .. تعطيه ليسكت، فتمادي في الشتيمة وتمادى، ولما لم يجد من الشتائم فائدة، لاذ بصمت .... هو صمت الحملان ...!

سيأتي يوم سيصمت فيه مهرجوا الطابور الخامس ....إذ لا يمكنك المراهنة على جهل الناس للأبد



أنا أؤذي ... أنا إذن موجود

منذ أن قال العالم الدانمركي الكبير سورين كيركغارد قولته المشهورة " أنا أفكر فإذن أنا موجود " ومن هذه المقولة، أنطلق مفكروا الوجودية في أفكارهم ومباحثهم، وهي فلسفة إنسانية تحترم الإنسان وفكره إلى أقص حد، شريطة أن لا تنطوي تلك الأفكار على اتجاهات اعتدائية.

إذن لأن يكون كل فكر أو مذهب دينياً كان أم سياسياً أو إنسانياً ولكي يوصف بالرقي، ينبغي أن لا يكون عدوانياً، ففي الإسلام نصوص في غاية احترام الإنسان وخياراته، وتحريم للاعتداء على البشر، حيث ورد في الآية القرآنية " من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً " 32 سورة المائدة)، ويحرض على التعاون (التحالف والائتلاف بلغة القاموس السياسي المعاصر) بقوله تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " المائدة ـ 2)، وقوله تعالى " وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون" المائدة 62).

ويستهل الأئمة والدعاة، الصلاة والموعظة بقولها " الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين " .

في الاشتراكية كفكر سياسي إنساني، تؤكد مصادر التاريخ، أن الاشتراكية لم تعتد على جهة أو دولة أو أمة، فالاشتراكية مذهب وفكر إنساني لا يعيش إلا في وسط سلمي، ولا تزدهر إلى بالتعايش حتى مع الخصوم لتظهر محاسنها ومنجزاتها، فالاشتراكية كانت هدفاً للعدوان الخارجي منذ تأسيسها (1917)، وكان السبب الرئيسي في نهاية النظام الاشتراكي هو سباق التسلح المجنون الذي سارت فيها الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الغربي، وليس فشل الاشتراكية كما يزعم خصومها، وبلغت في عهد الرئيس ريغان مبلغاً عالياً (حرب النجوم)، حتى أصبحت الحرب النووية خياراً مطروحاً، فتراجعت الاشتراكية وفضلت أن تحل نفسها على خوض حرب نووية ضروس لا تبقي ولا تذر، وأن تترك الاحتكام للتاريخ. وأظن أن التاريخ أصدر حكمه

وكذلك الوجودية، فهي مذهب إنساني تعتمد أولاً فكرة احترام الإنسان وفكره وحريته، أما الاعتداء وفرض الرأي فهذه مخالفة ومعارضة لطبيعة الإنسان الذي لا يستطيع أن يعمل ويداه مقيدتان، ولا يستطيع التفكير وفكر قسري مسلط عليه. " كيف

أستعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا " ....قالها الخليفة الراشدي الثاني، وأكملها جان جاك روسو " يولد الإنسان حراً ولكنه مقيد بالأغلال من كل مكان ".

الإمبريالية شيئ حقير، وهي تعني أنها تسلب من الفقير آخر رغيف خبز عنده، ولكنها مع ذلك تغني لحقوق الإنسان، والديمقراطية، وليس على وجه المعمورة بلد يخلو من جراح وأمراض خلقوها وتسبوا فيها. إنها نكتة سخيفة أن تزعم رعايتها لحقوق الإنسان والديمقراطية، وليس هناك من يتفنن بإبادة البشر كالإمبريالية. هات لي بلدا لم تكويه الإمبريالية بنارها ..؟

إيران تفعل العكس، ولا تبالي حتى بالتغطية ... ورغم أنها ترفع لافتات الخرافة والجهل، لكن لكل خرافة نهاية وها هو الجمهور قد مل التمثيل الردئ، والمسرح المهترئ واشمئزاز الجمهور، وسخط الحضور، والإساءة للإسلام، وتغليف الطمع والشراهة، بمسوح الدين .. فأنتبه المسروق وقبض على السارق متلبساً، والفلم الهندي في نهايته .. والعوض الله بالخسائر ..

ـ إيران، تزعم أنها دولة إسلامية، وهذه بدأت تتكشف، أن أي بقعة في العالم بوسعها إدعاء الإسلام عدا إيران ..! بل بالعكس، لا أحد يسعى إلى تدمير الإسلام بقدر إيران، بدليل أن كل من يعادي الإسلام يجد في إيران الحليف الأول لها .. والعنصر الأساس في كل عمل إقليمي أو دولي يستهدف الإسلام ...لا نبالغ .. بل إيران تبالغ في العداء والكراهية (وهي السلعة الأفضل لديهم) وإليك الدليل :

ـ إيران أدخلت وساعدت ودعمت الوجود الأجنبي في أفغانستان.

ـ إيران هي من ساعدت ودعمت وذبحت الشعب العراقي.

ـ إيران، هي من ذهبت إلى سوريا لتدعم نظام ساقط، وتساهم بقتل الشعب السوري.

ـ إيران هي من صنعت حسن نصرالله ليدمر لبنان الجميل ..

ـ إيران هي من سحرت الحوثي بالمال والجاه والسلاح، ليدمر اليمن.

في داخل المعادلات الإيرانية أزمة خطيرة لو التهبت لا تبقي في إيران حجراً فوق حجر، لأن هذا البلد مركب تركيباً يخالف المنطق والمصالح السياسية والاقتصادية والثقافية، والغرب يدرك هذا تمام الإدراك، وكذلك الشرق، أن إيران بلد مركب من قطع غير متجانسة، إذا رفعت قطعة منه فسينهار ما هو مشيد بسرعة، وتصبح هذه المنطقة الشاسعة نهب لشتى المصالح الدولية، من المؤكد أن النفوذ الروسي سيكون الأقوى، لأنه الأقدر على فهم مفردات العقل الشرقي، ولهذا يحرص الغرب على بقاء إيران قوة تثير المشاكل تحت السيطرة، فإن شاء الغرب التدخل في أفغانستان، أو الخليج، أو العراق، أو في حوض قزوين أو أذربيجان، أو مع تركيا، فإيران جاهزة للعب هذا الدول القذر ... فهي موجودة للعلب هذا الدور، وبنظرة من استراتيجي مبتدأ إلى الخارطة في المنطقة سيشاهد أن الفرس (وهم أمة صغيرة قياسا) أمة محشورة بين أمتين لها عمق تاريخي وسياسي واقتصادي وثقافي بين العرب والترك ..تحرص القوى العالمية أن لا تتحد الأمة التركية فذلك يعني كيان يمتد من داخل الصين وحتى البحر المتوسط، وأمة عربية تمتد من الخليج العربي وحتى المحيط الأطلسي، نظرة سريعة إلى الخارطة تنبئك بهذه الحقيقة ... وإذا أضفت لهذه الحقيقة أن هاتان الأمتان مسلمتان .. ستصبح الاحتمالات مرعبة .....

هذا هو كعب أخيل الإيراني (نقطة مقتل إيران) وهي تريد لعب دور هي غير قادرة عليه، إلا بالتخادن والتخادم مع القوى العظمى، وهي تتفعل ذلك، ولكن ربما أن هذا قد لا ينفع للنهاية، ففي لحظة واحدة، تختل نقطة التوازن وينهار كل شيئ. .... لذلك دور الولد الأزعر هو دور مرسوم بعناية، ويلعبه الفرس من زمن الصفويين والقاجاريين والبهلويين، وأنتهاء بالملالي الذين تثقل العمامة والقفطان والعباءة حركة رقصة الباليه .. فيبدو كل شيئ بائساً بل وينذر بشر مستطير ...

صديق وأخ كان يدرس الهندسة البحرية في ألمانيا حكى لي أنه يمكن أن تنكسر باخرة وزنها مئات الألوف الأطنان من الحديد في لحظة واحدة إلى نصفين كما تكسر خيارة بيدك ... ويحدث هذا في لحظة واحدة، عندما تختل نقطة التوازن في الباخرة حين تبحر في ظروف العواصف والأنواء البحرية .. ولا ينقذ السفينة سوى ملاح مهندس له خبرة ... وليس من يجهل قواعد الملاحة .. ويريد أن يرقص البالية .. وهو غير مجهز لهذه اللعبة ... ولا يعرف من أصولها غير جملة واحدة .... أنا أوذي ... إذن أنا موجود ...!

والعاقبة للمتقين ....!



قرؤا هذه المعطيات وفكروا قليلاً، حتى لمن لا يعرف الكثير عن الاقتصاد، ولكن بتأمل بسيط في المعطيات، سيدرك أن إيران تعلم جيداً أنها ستخرج من العراق ... صحيح نحن نعلم، ولكنها (إيران) تعرف ذلك أكثر من غيرها، لذلك فهي تخرب العراق بكل ما استطاعت من قوة، وبسرعة تخريباً عشوائياً بعض الأحيان لفرط استعجالها، من أجل إلحاق أكبر حجم من الخسائر. فقد هدمت نحو 50 مدينة عراقية بالكامل، وهجرت الملايين، وقوضت الصناعة العراقية، والمنجزات العلمية، وهي تعلم أن العراق عام 1986 كانت أعلى من مستوى إيران الحالي في الصناعة والعلم...! والجامعات العراقية كانت مقبولة ومعترف بها في أوربا والدول المتقدمة، وقد شهدت شخصياً قبول طلاب عراقيين لمرحلة الدكتوراه بناء على شهادة ماجستير عراقية، رغم أن في شهادة الدكتوراه يفضل أن تكون شهادة الماجستير يفضل من نفس الكلية.

إيران عملت كل شيئ قتلت العلماء والخبراء، ورجال الدولة، هدمت المدن، وقوضت المنشآت الكبرى وحتى الصغرى منها، وتركت المدن الشيعية تتخبط في أوحال المياه الآسنة والطين والفقر، سرقت ما يمكن سرقته من الصناعات، سرقت المال النقد

من خزائن العراق، ونسفت ما لا يمكنها نقله، وأذنابها ساعدوها في كل ذلك بكل قلة غيرة غريبة، فعلوا ذلك كأسوء وأقذر من جريمة الزنا بالمحارم .... يحتار المرء أي وصف يجد لهؤلاء الحثالة ..

من هذا نتوصل إلى:

1 إيران مدركة أنها ستغادر العراق اليوم أو غداً فتدمر وتسرق وتقتل ما استطاعت لذلك سبيلاً، وهي تفعل ذلك بهمجية ووحشية.

2. هي لا تتصرف حتى كدولة مستعمرة، عليها التزامات وفق القانون الدولي، بل تتصرف كلص وناهب، وكقاتل محترف، وسوف تقام جرود بكافة جرائمها، ولا شيئ يضيع..

3. العناصر التي تعمل لخدمة إيران، إنما هي عصابات مأجورة، سيأتي يوماً، تمثل فيه أمام القانون.

4. وهنا الفقرة الأهم، أن مشكلة العراق ليس بنظام س أو ص ، فكل الحلول التي تطرحها المنطقة الخضراء هي إملاءات خارجية، ولا فرق مطلقا بين س أو ص، لأنهم إنتاج ذات المفقس.

ولكن أيها الشعب العراقي الصابر .. الخسارة كبيرة، والمصاب عظيم .. ولكن أرفع رأسك، لنتحد اتركوا هذا للمؤرخين ليسجلوه، ولنبدأ يداً بيد نشيد عراقاً جديداً بذرى عالية، بمجد منيف، ونحن سنرى .. وسنبحث، كيف ستتصرف حيال أكبر جريمة في تاريخ الإنسانية ..؟ هل ستذهب هذه سدى .. لا .. نظام الجهلة والمتخلفون سيسقطون وينتهي منهم الشعب الإيراني والعراقي خلال أيام، أما الحشرات من الذيول العراقية فستسقط سقوطاً مدوياً ... إيران عندما تسقط في العراق يسقط ملكها .. وتنهار دولتها وهذه المرة سيحصل أكثر من ذلك ... هم انتهوا هنا أكثر من مرة .. وهنا سينتهون أيضاً وهي النهاية الكبرى .. والأيام بيننا ..!

لاحظوا هذه المعطيات .... تأملوها رجاء ..

ـ حصة الحشد الشعبي من موازنة 2019 حوالي 2 مليار دولار، منها 80 مليون دولار جاءت كقرض من مؤسسات مالية اجنبية بعضها أمريكية وحوالي 50 مليون دولار من المنحة العسكرية الأمريكية للعراق التي تكون على شكل معدات وذخيرة وأسلحة..

ـ حصة البطاقة التموينية لكل الشعب العراقي مليار ونصف المليار دولار لعام 2019 يعني اقل من حصة الحشد.

ـ عدد أفراد الحشد الشعبي غير مذكور بموازنة 2019. حساب مفتوح ...

ـ ميزانية الحشد الشعبي اكبر من ميزانية محافظات نينوى والأنبار وديالى وكركوك وصلاح الدين مجتمعة. هذه المحافظات تضم 43 مدينة مدمرة فقط.

ـ ميزانية الحشد الشعبي اكبر من ميزانية وزارات التربية والشباب والرياضة والاتصالات مجتمعة.

ـ العراق صدر نفط بقيمة 90 مليار دولار في عام 2019، ومع ذلك لم تكفي فاقترض 27 مليار دولار لتغطية العجز.

ـ العراق بعام 2019 اقترض من امريكا واليابان والصين وكوريا والسويد والسعودية والإمارات والكويت وقطر وبريطانيا وألمانيا وهولندا وبلجيكا وإيطاليا وأسبانيا والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي والاتحاد الأوروبي.

ـ العراق أيضا اقترض من صندوق التقاعد والمعاشات العراقي.

ـ قرض السعودية راح لوزارتي الثقافة والزراعة. الثقافة اللي وزيرها من العصائب.

ـ عدد موظفي الوقف السني 19 ألف موظف أكثر من موظفي وكالة الفضاء الأمريكية ناسا البالغ عددهم 17 الف.

ـ عدد موظفي الوقف الشيعي 10 آلاف موظف، أكثر بخمس مرات من موظفي وكالة الفضاء الأوروبية البالغ عددهم ألفين موظف.

ـ عدد موظفي الهيئة العراقية للسيطرة على المصادر المشعة 177 موظف فقط مهمتهم مكافحة التلوث الإشعاعي في العراق. منها نفهم سبب ارتفاع معدل إصابات السرطان.

ـ واحد من كل أربعة موظفين في القطاع الحكومي، يداوم بوزارة الداخلية.. وهو يعني ربع عدد الموظفين.

ـ موازنة الدفاع 7 مليارات دولار

ـ عدد موظفي القطاع العام 3.3 مليون موظف من اصل 10 ملايين هو حجم القوة العاملة في العراق يعني نسبته 33٪ من حجم القوة العاملة وهذا من اعلى المعدلات العالمية، المعدل العالمي المقبول يجب ان لا يتجاوز 22٪ من حجم القوة العاملة، وشرط ان يكون القطاع العام قطاع منتج في الصناعة والزراعة والتجارة.

ـ عدد موظفي محافظة بغداد ربع مليون.

ـ عدد موظفي محافظة الديوانية اكبر من عدد موظفي محافظات ميسان ونينوى والأنبار والمثنى وصلاح الدين مجتمعات.

ـ هذه الموازنة اقترحتها حكومة عادل عبد المهدي وصوت عليها تحالف البناء اللي يضم سائرون والفتح و17 كياناً اخرون.

ـ موازنة العام الحالي 2020 أرسلتها حكومة عادل عبد المهدي الى البرلمان قبل الاستقالة ولم يناقشها البرلمان العراقي حتى الآن، ومنذ يوم 1/ يناير كانون الثاني 2020 بدأت الحكومة بالسحب على المكشوف من البنك المركزي لتغطية نفقات الدولة من دون قانون موازنة ومن دون رقابة تشريعية.

المصدر:

قانون رقم 1 الموازنة العامة الاتحادية لجمهورية العراق للسنة المالية 2019 المنشور في صحيفة الوقائع العراقية عدد 4529 في 11 فبراير شباط 2019